

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الدائرة الجهنمية
٧٤
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ المَصِير ..

أوشكت شمس ذلك اليوم ، من أيام منتصف الصيف ، على المغيب ، حينما توقَّفت واحدة من سيَّارات الأجرة ، أمام مبنى القنصليَّة المصرية فى (تايبه) ، عاصمة جزيرة (تايوان) ، وهبطت منها فتاة حسناء ، تبدو شاحبة الوجه ، مرتبكة الهندام ، على نحو مثير للدهشة ، حتى أن حارس القنصليَّة تطلَّع إليها فى توتُّر وحذر واضحين ، وهى تتجه إليه ، وكاد يشهر سلاحه فى وجهها ، حينما امتدَّت يدها إلى ثوبها ، لتلتقط منه جواز سفرها ، الذى ضاعف من دهشة الحارس ، بلونه الأحمر المميَّز لجوازات السفر الديبلوماسيَّة ، وهى تقول بالإنجليزية فى حزم :

ـ أريد مقابلة القنصل المصرى ، وبسرعة ، فالأمر بالغ الأهميَّة .

لم يسع الحارس ، أمام ذلك الجواز الديبلوماسى سوى أن يسمح لها بالدخول ، بعد أن ألقى نظرة فاحصة مدقِّقة على صورتها ، وراجع بيانات جوازها عدَّة مرَّات ، وهزَّ رأسه

فى حيرة ، وهو يتابعها ببصره ، فى أثناء اتجاهها فى حزم إلى مبنى القنصلية ، عَبْرَ حديقتها الصغيرة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وهو يحاول إقناع نفسه بأن مظهرها ليس من شأنه ، قبل أن يعود للوقوف فى وضع منتصب ثابت ، لمواصلة حراسته للمكان ..

ولم تكن دهشة العاملين بالقنصليّة بأقلّ من دهشة الحارس ، حينما رأوْا الفتاة ، ولكن لغتها العربيّة ، ولهجتها المصرية الصميمة ، وذلك الحزم الواضح فى ملامحها وصورتها ونظراتها ، جعل الجميع يعاملونها بالاحترام الكافى ، ويتجاهلون هيئتها الزَّريَّة ، وهم يطلبون منها الجلوس ، فى انتظار قدوم القنصل المصرىّ لمقابلتها ..

وجلست ..

التعبير الأدقّ هو أنها قد سقطت ، من فرط التعب والإجهاد والانفعال ، فوق أوّل مقعد صادفها ، وأغلقت عينيها فى تهالك ، وهى تحاول إقناع قلبها ، الذى يخفُق فى عُنف ، بخفض دقَّاته ، والحصول على قدْر من الرَّاحة كجسدها ..

وعادت بها الذاكرة إلى الوراء ..

إلى البداية ..

* * *

كانت هذه الفتاة هى (منى) ..

(منى توفيق) ..

وكانت البداية فى (مصر) ..

لقد اتصل مدير المخابرات العامّة بـ (أدهم صبرى) ، فى السادسة صباحًا ، وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه فى الإدارة للأهميّة ، وهناك أخبره أن أحد رجال المخابرات المصرية قد اختفى فى (تايوان) ، وهو يتتبّع رجل مخابرات أمريكيًا سابقًا ، تشير التحرّيات إلى كوْنه أحد منظّمى شبكات التجسُّس العالمية حاليًا ..

وكان رجل المخابرات المصرىّ هذا هو الرائد (خالد) .. ابن مدير المخابرات العامة ..

وانتزع (أدهم) (منى) من فراشها بدوْرِه ، وانطلق الاثنان إلى (تايبه) ، عاصمة (تايوان) ..

وبدت العملية شديدة التعقيد منذ البداية ..

لقد كشفا فور وصولهما ، أن رجل المخابرات الأمريكى السابق ، (هنرى كلارك) ، الذى حضر خصّيصًا لتعقُّبه ، يحتلّ الآن منصب رئيس شرطة المدينة ..

ولكن هذا لم يَفُتّ فى عَضُدِهما ..

لقد قاتلا ..

قاتلا كل رجال الأمن فى المدينة ..

وألقى القبض عليهما ..

ونجحا فى الفرار ..

وبعد مطاردة عنيفة ، أظهر (أدهم) خلالها مهارته الفائقة فى قيادة السيارت ، انتهى بهما الأمر إلى أحراش الجزيرة ..

واشترك الحاكم (كال) فى المطاردة ..

وبات من الواضح أن (أدهم) و (منى) يواجهان كلَّ قوى الأمن والسلطة فى المدينة ، وأنهما يخوضان الأحراش نحو ذلك (المعتقل الرّهيب) الذى يرسل إليه (هنرى كلارك) ، و (فرديناند كال) خصومهما ، والذى يرأسه ذلك الجنرال الفرنسىّ السادىّ (أندريه) ..

وكان من الضرورى أن يفترقا ..

وتركت (منى) (أدهم) وسط الأحراش ، تطارده هليوكوبتر حربية ، يقودها (هنرى كلارك) ، وتُمطِرُه بالرصاصات ..

ومن خلال هروبها ، التقت (منى) بـ (كوريل) ، ذلك الهارب من معتقل (أندريه) ، والذى أخبرها بمعلومات يشيب

لها الولدان ، جعلتها تصرُّ على الوصول إلى القنصلية المصرية بأيَّة وسيلة ممكنة ، دون أن تدرى أن (أدهم) قد انتصر على الهليوكوبتر ، وأن (كال) قد قتل (هنرى) ، وأنه قد طارد (أدهم) مع رجاله ، عبْر الأحراش ، و ......

وأن (أدهم) قد سقط بين أيدى أعدائه ..

سقط فى فخٍّ أعدَّه له الجنرال (أندريه) ، حيث أفقده وعيه ، وحمله معه إلى معتقله الرهيب ..

إلى الجحيم ..(*)

* * *

« آنسة (منى توفيق) » ..

انتفض جسد (منى) فى قوَّة ، حينما سمعت تلك العبارة ، التى أُلقِيَتْ على نحو تساؤلىّ شبه هامس ، وانتزعتها فجأة من أفكارها وذكرياتها ، ففتحت عينيها دفعة واحدة ، وتطلَّعت إلى صاحب الصوت ، الذى يتطلَّع إليها بمزيج من العطف والإشفاق والرثاء والحَيْرة والتساؤل ، وقد بدا أنيقًا ، مهيبًا ، فى أواخر الأربعينات من عمره ، ممَّا جعلها تعتدل ، وتسأله بدورها :

ــ القنصل المصرىّ ؟!

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوَّل (المعتقل الرهيب) .. المغامرة رقم (٧٣) .

أومأ الرجل برأسه إيجابا ، وهو يقول فى صوت خافت متعاطف :

ـ ما الخدمة التى يمكننى تقديمها إليك ؟

أرادت أن تحوز أكبر قدر ممكن من اهتمامه وانتباهه مُنْذُ البداية ، فاعتدلت ، وهى تقول فى لهجة قويّة حازمة :

ـ إننى أنتمى إلى المخابرات المصرية .

كانت افتتاحية موفّقة للغاية ؛ فقد اعتدل القنصل على نحو يؤكّد عامل المفاجأة فى أعماقه ، واتسعت عيناه لحظة فى دهشة ، وهو يحدّق فى وجه (منى) ، ثم لم يلبث أن قال فى اهتمام واضح :

ـ أظن أنه من الأفضل أن نتحدّث فى مكتبى الخاص .. أليس كذلك ؟

أجابته فى اقتضاب :

ـ بلى .

قادها فى صمت إلى حجرة مكتبه الخاصّة ، وأكّد على سكرتيره خارجها ألّا يسمح لأىّ مخلوق بمقاطعتهما ، مهما كانت الأسباب ، ثم أغلق الباب خلفهما فى إحكام ، ودعاها للجلوس ، وجلس قبالتها ، وشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، وهو يسألها فى اهتمام بالغ :

ـ حسنًا .. ماذا هناك ؟

اعتدلت ، وهى تقول فى انفعال :

ـ مؤامرة .. مؤامرة شيطانية رهيبة ، تهدّد اقتصاد وطننا ياسيادة القنصل .

جعلته عبارتها وانفعالها ينتفض ، وهو يهتف :

ـ مؤامرة على اقتصادنا ؟!

قالت فى انفعال :

ـ نعم ياسيادة القنصل ، فهناك ، فى قلب الأحراش ، يوجد معتقل سياسىّ رهيب ، يتمّ داخله طبع ملايين من أوراق النقد المصرية ، وبكل الفئات .

اتسعت عينا القنصل ، وارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :

ـ تزوير ؟!

صاحت منفعلة :

ـ بل أكثر خطورة ياسيّدى .. إن أوراق النقد المصرية تطبع بنفس الوسيلة ، وباستخدام نفس نوع الورق والأحبار ، بحيث يستحيل كشف تزويرها ، لأنها ليست مزوّرة ، وإن كانت غير شرعية أو قانونية .

عقد القنصل حاجبيه فى شدة ، وهو يتطلع إليها فى حيرة ، قبل أن يغمغم :

— ولكن هذا مستحيل !

ونهض من مقعده فجأة ، وبحركة حادة ، ولوح بكفه ، قائلا :

— أتعلمين كيف يتم طبع أوراق النقد المصرية ؟!.. إنها عملية بالغة التعقيد ، تقوم بها واحدة من أخطر الشركات المالية فى (لندن) ، فتصميم الأوراق يتم فى (القاهرة) ، ثم ترسل التصميمات إلى (لندن) ، تحت حراسة مشددة ، وبسرية بالغة ، وهناك يتم صنع القوالب الطباعية ، على نحو بالغ الدقة ، ثم تطبع الأوراق المالية تحت ظروف بالغة التعقيد ، لا تسمح بتسرب قطعة واحدة منها ، وباستخدام أحبار خاصة ، ذات تركيبات سرية ، وعلى ورق خاص ، يتم صنعه خصيصًا ، ويزود بعلامة مائية مميزة ، وخيط فضى خاص .. وافتعال كل هذا يكلف ثروة فائقة ، حتى أنه لمن المحتمل أن تزيد تكلفة الأوراق المزورة بكل هذه الدقة ، عن قيمتها الفعلية(*) ، ثم إن الحصول على كل هذا مستحيل تقريبًا .

(*) معلومة صحيحة .

نهضت (منى) بدورها ، وهى تقول فى حدة :

— ولكن هذا قد حدث فعلًا ، ولا بد من منعه ، قبل أن ينهار اقتصادنا .

سألها القنصل فى حزم :

— هل رأيت كل هذا بنفسك ؟

أجابته فى حدة :

— بل حصلت على المعلومات من أحد الهاربين من المعتقل .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— عجبًا !!.. إنهم يدعون استحالة الهروب من ذلك المعتقل .. أليس كذلك ؟

هتفت فى عصبية :

— هذا صحيح ، ولكن .....

قاطعها فى حزم :

— ما الأدلة التى تستندين إليها إذن ؟

صاح فى غضب :

— هل سننتظر الحصول على الأدلة ؟

أجابها فى حدة :

— ماذا تقترحين إذن ؟

لوّحت بذراعيها فى حَنق ، هاتفةً :

ـــ أن نهاجم ذلك المعتقل ، وندمّره بالتأكيد .

ازداد انعقاد حاجبيه فى حِدّة ، وهو يقول :

ـــ أتبدو لك تلك الأمور بسيطة إلى هذا الحدّ ؟.. إنك تطالبين بِشَنّ حرب على جزيرة (تايوان) ، وهذا أمر بالغ الخطورة .

صاحت فى حِدّة :

ـــ ماذا تقترح أنت إذن ؟

صمت القنصل لحظات ، ثم أجاب فى خُفوت :

ـــ لم يَحِن وقت الاقتراح بَعْدُ .. إن علينا الآن أن نتأكّد من تلك المعلومات ، ثم نُقرّر ماذا نفعل .. إنها ليستَ مشكلة عواطف وانفعالات .

ثم استدار إليها مُردِفًا فى حزم :

ـــ إنه مصير دولة .. دولتنا ..

* * *



٢ ـــ جنرال الجحيم ..

غشاوة كثيفة ، أحاطت بذهن (أدهم) ..

غشاوة راحت تنجاب عن عقله تدريجيًا فى بطء ، وهو يستعيد شعوره بما حوله ..

وَمَنْ حوله ..

وكان هناك صمت وظلام ..

هذان فقط ما استقبلاه ، حينما استعاد كامل وعيه ، وفتح عينيه فى بطء ..

أوّل ما شعر به هو الصداع الشديد ، ثم التساؤل والحَيْرة ..

كان يرقد داخل مكان رطب للغاية ، مُظلم إلى درجة مخيفة ، حتى ليبدو وكأنه جزء من أعماق الموت ..

وكان السُكون يحيط به من كل جانب ..

وفجأة ، ندّت حركة ما ..

حركة شديدة الخُفوت ، أيقظت كل كوامن نفس (أدهم) ، فانقبضت لها عضلاته فى تحفُّز ، وانعقد لها حاجباه ،

وهو يُدير عينيه فى الظلام الدامس حوله ، محاولًا تبيُّن موضع تلك الحركة ..

وبعد لحظات من صمت تام ، ارتفع صوت من أعماق الظلمة ، يغمغم :

ـ هل استيقظت ؟

لوهلة بدا الأمر مثيرًا للدهشة والحيرة معًا ؛ فلقد أُلقِيَت العبارة بصوت مألوف ، وبلغة عربية ، ولهجة مصرية محبَّبة إلى نفس (أدهم) ، ثم لم يلبث عقله أن أدرك الأمر ، فهتف فى لهفة :

ـ يا إلهى !!.. (خالد) ؟!.. أهو أنت ؟

أجابه الصوت فى خفوت وضعف :

ـ نعم يا سيادة المقدَّم .. هو أنا .

كان الصوت يأتى من مسافة ثلاثين سنتيمترًا على الأكثر ، إلى يسار (أدهم) ، الذى رفع كفَّه ، واخترق بها حجب الظلام الدامس ، ليضعها على كتف (خالد) ، هاتفًا :

ـ حمدًا لله .. لقد عثرت عليك .

كان قد وضع كفَّه على كتف (خالد) فى رِفق شديد ، إلَّا أن هذا الأخير تأوَّه فى شدة ، كما لو كان (أدهم) قد صفعه

بكل ما يملك من قوَّة ، فسحب (أدهم) يده فى دهشة ، وهو يهتف فى قلق .

ـ ماذا بك ؟.. ماذا فعل بك هؤلاء الأوغاد ؟

غمغم (خالد) فى حَنَق وألم :

ـ بل قُلْ ما الذى لم يفعلوه .. لقد استجوبنى ذلك الجنرال الشيطان ، وفى هذا ما يكفى .. لقد انتزع ثلاثة من أظفارى ، وجلدنى حتى كدت أقضى نحبى ، ثم دهن جسدى بمسحوق الفلفل الأحمر ، وصلبنى تحت أشعة الشمس يومين كاملين .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى غضب :

ـ يا للوحشية !!

تنهَّد (خالد) ، وهو يقول فى مرارة :

ـ هذا ما سيفعله بك أيضًا للأسف ، ما دام قد حُظِىَ بك .. لقد علمت أنهم قد أسروك ، حينما رأيت وجهك لحظة ، وهم يلقون بك هنا ، ولست أشك فى أنَّ جنرال الجحيم هذا ينتظر عودتك إلى وعيك ، ليبدأ معك استجوابه الشيطانى .

لم يبدُ فى صوت (أدهم) أدنى أثر للخوف ، أو القلق ، وهو يسأله :

ـ ولكن كيف أوقعوا بك ؟.. ولماذا ؟



تنهد (خالد) ، وهو يقول فى مرارة :

ـ هذا ما سيفعله بك أيضًا للأسف ، ما دام قد حظى بك ..

تنهَّد (خالد) مرَّة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ لقد نصبُوا لى فخًا حقيرًا ، مثلما فعلوا بك بالتأكيد ؛ لأننى كشفت أمرهم ، وأمر منظمتهم الحقيرة .

اعتدل (أدهم) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ أيَّة منظمة ؟

أجابه (خالد) :

ـ منظمة من نوع جديد ، يديرها أربعة أشخاص ، من أربع دول مختلفة .. (هنرى كلارك) من (أمريكا) ، و (فرديناند كال) البريطانىّ ، و (أندريه دى فال) الفرنسىّ ، (خوانى كيرليوس) اليونانىّ .

غمغم (أدهم) بلهجته الساخرة :

ـ أهى عصبة أمم ؟

زفر (خالد) فى ضيق ، وهو يقول :

ـ كيف يمكنك أن تمزح ، فى مثل هذه الظروف ياسيادة المقدَّم ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ يمكنك أن تقول إنها عادة سخيفة .. المهم .. ما نوع تلك المنظمة ؟

صمت (خالد) لحظة ، قبل أن يجيب فى صوت مرتجف :

ــ اقتصادية .. منظمة اقتصادية إجرامية .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وهو يسأله :

ــ ما المقصود بكَوْنِها اقتصادية إجرامية ؟

اجتاح الانفعال (خالد) فجأة ، وهو يقول :

ــ اسمع يا سيادة المقدّم .. هل تعلم ما الذى يفعلونه هنا ؟ .. إنهم يطبعون أوراق النقد المصرية ، لا تجعل الدهشة تأخذ بلُبّك ، فلقد وقع اختيارهم على (مصر) ، ليبدءوا بها عملهم ..

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ــ أى عمل هذا ، الذى يستلزم طبع أوراق نقد مصرية ؟

أجابه (خالد) فى توتُّر :

ــ تحطيم الاقتصاد المصرى .

تراجع (أدهم) ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!

ثم انعقد حاجباه فى غضب وصرامة ، وهو يقول :

ــ ومن سيسمح لهم بذلك ؟

هتف (خالد) فى مرارة :

ــ ومن سيمنعهم ؟.. لقد كنت الوحيد الذى يعلم بخُطَّتهم ، وها أنذا بين أيديهم ، لا أملك من أمرى شيئًا ، وكنت أنت الشخص الوحيد فى العالم ، الذى يمكنه أن يتصدَّى لهم ، ويُوقع بهم ، ويحطِّم خُطَّتهم ، ولكن ها أنتذا بين أيديهم مثلى .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ــ لن يطُول هذا يا (خالد) .

ثم انحنى نحوه ، يسأله فى اهتمام بالغ :

ــ ما الذى تعرفه عن هذا المكان ؟.. أخبرنى بكل ما لديك .

أجابه (خالد) فى لهجة تشفُّ عن اليأس والإحباط :

ــ إنه معتقل رهيب ، فى منتصف الأحراش ، وفى منطقة بالغة الصعوبة والوُعُورة ، تبلغ مساحته ستة كيلومترات مربَّعة تقريبًا ، ويحاط كله بسور من الأسلاك الشائكة ، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار ، ويسرى فيه تيار كهربىّ رهيب ، يكفى لصعْق قطيع من الأفيال بلمسة واحدة ، وتحيط بالمعتقل كله دائرة من المستنقعات ، الزاخرة بالتماسيح المفترسة ، ومناطق الرمال المتحرِّكة الواسعة ، وعلى شواطئها تمرح النُّمور القاتلة ،

وثعابين (البوا) الضخمة .. باختصار ، إنها دائرة جهنّميّة ، من المستحيل عُبورها دون دليل محنّك ، يحفظ أسرارها ودروبها عن ظهر قلب ، وبالإضافة إلى ذلك ، هناك أكثر من مائتى رجل مسلّح داخل المعتقل ، ولدى كل منهم أوامر مشدّدة ، بإطلاق النار فورًا ، ودون أدنى تردُّد ، على كل من تُسوِّل له نفسه مجرّد الاقتراب من الأسوار ، أو من مقرّ إقامة شيطان الجحيم هذا ، ولو بحسن نيّة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يفكّر فى عمق ، وقال :

ـ لابدّ من وجود وسيلة ما .. لقد تعلّمنا فى المخابرات أنه ما من جهاز أمنى ، يبلغ الحدّ المطلق من الكمال ، لابُدّ أن توجد به ثغرة ، ولو ضئيلة ، ومهمّتنا هى البحث عن تلك الثغرة ، وتوسيعها ، ليتسنّى لنا العُبور من خلالها .

غمغم (خالد) فى يأس :

ـ يمكننا أن نحاول على الأقل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تعالى إيقاع منتظم من أعلى ، فغمغم (أدهم) :

ـ ما هذا ؟

أجابه (خالد) :

ـ إنه وقع أقدام زبانية الجحيم .. لقد قدموا لاصطحابك إلى جنرال الجحيم ، حيث يتمّ استجوابك .

رفع (أدهم) عينيه إلى أعلى ، وضاقت حدقتاه ، حتى انفتحت فجأة ثغرة فى سقف المكان ، وغمر المكان ضوء ساطع ، أجْبر (أدهم) على إغلاق عينيه فى ألم ، والإطراق بوجهه أرضًا ، وهو يسمع صوتًا ساخرًا خشنًا ، يقول :

ـ إذن فهذا هو البطل المصرى !

أجابه صوت آخر غليظ ، لم يخلُ من رنّة السخرية ذاتها :

ـ لاتبخسه قدره يارجل .. إنه يبدو ممشوق القوام ، مفتول العضلات .

أطلق الأوّل ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ ستزداد عضلاته سمكًا هنا بالتأكيد ، بعد أن نضيف إليها بعض الكدمات والأورام .

ثم استطرد فى غلظة وخشونة ، وهو يصوّب فُوّهة مدفعه نحو (أدهم) :

ـ اصعد أيها المصرىّ ، وحذار أن تأتى ما يثير شكوكنا ، وإلّا حوّلناك إلى كُومة من اللّحم المفرىّ ، تأنف حتى الكلاب من تذوّقها .

شعر (أدهم) بالغضب ، وأقسم فى أعماقه على أن يلقن ذلك الوغد درسًا ، إلَّا أنه كتم مشاعره فى أعماقه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ سأصعد .

تعلَّق فى سُلَّم صغير من الحبال ، وصعد به إلى أعلى ، حيث وجد ثلاثة رجال آخرين ، يصوِّبون إليه مدافعهم الآليَّة ، وهم يتسمون فى سخرية وشماتة ، بالإضافة إلى الرجلين الأوَّلين ، اللذين أغلقا باب الزنزانة السفلية مرَّة أخرى ، والتفت أوَّلهما إلى (أدهم) ، وألصق فوَّهة مدفعه الآلىّ بظهره ، وهو يقول بذلك المزيج المقيت من السخرية والشماتة :

ـــ سِرْ أمامى أيها البطل الورقىّ .. سنذهب إلى الجنرال ، حيث ستجد لديك رغبة قويِة ، فى سرد قصة حياتك منذ الطفولة ، حينما يبدأ جنرالنا الهمام فى استضافتك ، و .....

ولم يتمّ الرجل عبارته أبدًا .

لم يتمّها ؛ لأنَّ (أدهم) تجاهل المدافع الخمسة المصوَّبة إليه ، ودار على عَقِبَيْه بكل مايملك من سرعة وقوَّة ورشاقة ، وَهَوَى بقبضته على أسنان الرجل فى لكْمة كالقنبلة ..

وكان فى هذا ما يكفى ليبدأ القتال ..

ويشتعل الجحيم ..

* * *

٣ ـــ المصيدة ..

تنهَّد القنصل المصرىّ فى عمق ، وهو يتطلَّع عَبْرَ نافذةِ مبنى القنصلية ، إلى شوارع مدينة (تايبه) ، عاصمة قلعة الصناعة الشرق آسيوية (تايوان) ، وشرد ببصره وأفكاره لحظة ، حتى سمع صوت الملحق العسكرىّ للقنصلية يتنحنح خلفه ، فالتفت إليه ، وسأله فى اهتمام :

ـــ هل استسلمت للنوم ؟

أومأ الملحق العسكرىّ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ على الفور .. من الواضح أنها مرهقة للغاية ، ولقد استنزف الانفعال معظم قواها .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن يستطرد الملحق العسكرىّ :

ـــ ماذا ينبغى أن نفعل ، بشأن قصتها ؟

عاد القنصل يتنهَّد فى عمق ، قبل أن يجيب :

ـــ الأمر شديد التعقيد فى الواقع ، فذلك المعتقل ، على الرغم من موافقتنا أو رفضنا لذلك الأسلوب فى الحكم ، يقع

تحت السّيادة اليابانيَّة ، وليس من حقنا ــ طبقًا لكل اللوائح الدبلوماسيَّة ــ أن نطالب بتفتيشه ، أو الاطلاع على ما يدور داخله ، ثم إننا لا نملك دليلًا واحدا على صدق أقوال فتاة المخابرات .

سأله الملحق العسكرىّ ، مرّة أخرى ، فى اهتمام :

ــ هل ستتجاهل الأمر إذن ، على الرغم من خطورته ؟

هزّ القنصل رأسه فى حَيْرة ، وأجاب :

ــ لست أدرى .. إننى لم أمرّ بمثل هذا الموقف المعقّد المتشابك من قبل ، ولقد أبرقت إلى (القاهرة) ، أستشير فيما ينبغى أن نفعل ، وأظن أنهم سيستغرقون وقتا طويلًا لاتخاذ القرار فى هذا الشأن .

وعاد يشرد ببصره مرّة أخرى ، وهو يُرْدِف فى خُفوت :

ــ طويلًا للغاية ..

* * *

يمكننا أن نجزم ، بكل ثقة ، أن هجوم (أدهم) المباغت قد أربك الرجال الخمسة بالتأكيد ، أو أن (أدهم) كان يتحرّك بسرعة مُذهلة حقًّا ، حتى أن عقول هؤلاء الخمسة لم تدرك الموقف ، إلّا بعد فوات الأوان ..

لقد سقطت قبضته على فم الرجل الأوّل ، فحطّمت صفّ أسنانه الأمامىّ كله ، وأصابته بصدمة طرحته أرضا ، وملأت فمه بالدماء ، قبل أن يدرك حتى ماذا حدث ..

وفى سرعة مُذهلة ، دار (أدهم) على عَقِبَيْه ، فى رشاقة راقص باليه محترف ، وركل أقرب المدافع الآلية إليه ، ثم قفزت قدماه فى آن واحد ، لتركلا أنف الرجل الثانى ، وحنجرة الثالث ، وتحرّكت قبضتاه فى الوقت ذاته ، فغاصت اليمنى فى معدة الرابع ، وقبضت اليسرى على معصم الخامس ، وتراجعت اليسرى فى قوّة ، لتجذب الخامس إليه ، على حين خرجت اليمنى من معدة الرابع ، واندفعت كالقنبلة إلى فكّ الخامس ، فحطّمته ، قبل أن تعود إلى أنف الرابع ، وتحيله إلى لحم مفرىّ دموىّ ..

وكم كانت دهشة (خالد) بالغة ، حينما رأى (أدهم) يطلّ عليه من فتحة الزنزانة العلوية ، حاملًا مدفعين آليّيْن ، ومبتسمًا فى هدوء ، وهو يقول :

ــ مَرْحى يا صديقى .. يبدو أننا سنغادر هذا المكان .

هتف (خالد) فى ذُهول :

ــ ماذا حدث ؟

أجابه (أدهم) بلهجته الساخرة المعهودة :
ــ لست أدرى .. لقد ألقيت التحية على هؤلاء الأوغاد الخمسة ، فسقطوا فجأة فاقدى الوعى .. يبدو أننى أمتلك صوتًا مؤثّرًا بالفعل .
تهلّلت أسارير (خالد) ، وهو يقول :
ــ بل تمتلك ناصية المستحيل نفسه يا سيادة المقدّم .
مدّ (أدهم) يده إليه ، يعاونه على الصعود ، ثم سأله فى اهتمام :
ــ أتظنّ أنه يمكنك أن تقاتل ؟
أجابه (خالد) فى حماس :
ــ بالتأكيد .
كان يرتدى ثوبًا ممزّقًا ، مهترئًا ، فراح يستبدل به زىّ أحد رجال المعتقل ، وحذا (أدهم) حذوه ، وهو يقول :
ــ ينبغى أن تدرك حجم المخاطرة جيّدًا يا (خالد) ، فلنخرج من هنا ، سيكون علينا أن نقاتل مائتى رجل .
أومأ (خالد) برأسه إيجابًا ، وقال :
ــ أعلم ذلك ، وصدّقنى يا سيادة المقدّم ، لو أنك عانيت ما عانيته أنا هنا ، لبدا لك الموت أمنية ، بالمقارنة بالحياة هنا .

تنهّد (أدهم) وقال :
ــ فليكن إذن .. هيّا بنا .
شهر كل منهما مدفعيه الآليين ، واتجها نحو باب المبنى ، الذى يرتفع فوق تلك الزنزانات السفلية المظلمة ، واختلسا النظر من فُرجته ، قبل أن يقول (أدهم) فى اهتمام :
ــ حسنًا .. أى تلك المبانى الأربعة ، هو مقر قيادة الجنرال الوغد (أندريه) ؟
أجابه (خالد) فى اهتمام :
ــ ذلك المبنى إلى أقصى اليسار ، هو مطبعة أوراق النقد ، حيث يعمل المعتقلون ، أما المبنى المجاور له ، وذلك الذى فى أقصى اليمين ، فهما يخصّان رجال الحراسة ، والفيلّا التى بينهما هى مقر قيادة (أندريه دى فال) .
صمت (أدهم) لحظات ، وكأنما يضع خطّته ، ثم قال :
ــ حسنًا .. سننطلق من هنا إلى فيلّا (أندريه) مباشرة ، وما دمنا نرتدى زىّ هؤلاء الأوغاد ، فسنستغل ذلك إلى أقصى حدّ ، وسنغادر هذا المكان القذر فى هدوء ، ونسير متجاورين حتى الفيلّا ، وعندما نبلغ أقصى حدّ يمكن بلوغه ، قريبًا من الفيلّا ، سنبدأ هجومنا بغتة .



شهر كل منهما مدفعيه الآليين ، واتجها نحو باب المبنى ، الذى يرتفع فوق تلك الزنزانات السفلية المظلمة ، واختلسا النظر ..

غمغم (أدهم) فى حماس :

ـ لا بأس .

جذب كل منهما إبرة مدفعه الآلىّ ، ثم قال (أدهم) فى حزم :

ـ هيَّا .

ودفع باب المبنى ، وخطا مع (خالد) إلى فناء المعتقل .. إلى قلب الجحيم ..

* * *

ارتسمت ابتسامة باهتة ، تبدو أشبه بالابتسامات الساخرة ، على وجه (فرديناند كال) المكتظ ، وهو يصبُّ لنفسه كأسًا من الخمر ، ويقول لـ (أندريه) ، الذى جلس هادئًا ، بارد الملامح ، يتابع مشهدًا ما فى هدوء مثير :

ـ أترُوق لك لُعبة القِطّ والفأر هذه ياعزيزى (أندريه) ؟

أجابه (أندريه) فى برود :

ـ بالتأكيد .. إنها لُعبتى المفضَّلة .

تناول (كال) كأسه ، واتجه ليجلس إلى جواره ، قائلًا :

ـ ما الذى يرُوق لك فيها ؟

تخيَّل إليه لحظة أن (أندريه) لم يسمعه ، أو أن الأمر لا يعْنيه على الإطلاق ، قبل أن يقول هذا الأخير فى برود :

— كل شىء .. مرأى الفأر ، وهو يظنُّ نفسه آمنًا ، يضع خُطَّته ، وينفِّذها فى إحكام ، على حين تراقبه عينا القطُّ فى ذكاء ، والجذل يملأ نفس هذا الأخير ، واللهفة تشتعل فى أعماقه ، لبدء دَوْره فى اللحظة المناسبة .

تطلَّع إليه (كال) فى دهشة ، وخامره شعور بالخوف ، وعدم الثقة فى ذلك الفرنسىّ الأشيب النحيل ، ذى الشارب الكثّ ، الذى يبدو كوحش مفترس ، لا يجد متعته إلّا فى إراقة الدماء ، ومشاهدة الموت ، وغمغم (كال) فى توتُّر :

— ومتى تحين تلك اللحظة المناسبة ؟

أجابه (أندريه) بنفس البرود :

— حينما يتصوَّر الفأر أنه قد بلغ أوَّل خيط للفوز .

وبرقت عيناه ببريق مخيف ، وهو يُرْدِف :

— حينئذ يكون وقْعُ الهزيمة عليه مدمِّرًا .

مرَّة أخرى تطلَّع (كال) إلى وجهه فى خوف خفىّ ، سرعان ما نفضه من أعماقه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

— يا لها من مُتعة !!

ارتسمت على شفتى (أندريه) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول فى هدوء :

— ألا تُروق لك ؟

جرَع (كال) ما تبقَّى من كأسه دفعة واحدة ، ووضع كأسه على المنضدة فى حدَّة ، ولوَّح بذراعه ، قائلًا :

— كلَّا .. إننى أفضِّل إنهاء الأمور عادةً فى سرعة .

ابتسم (أندريه) فى سخرية ، وهو يقول :

— أسلوبك هذا يفسد كل المتعة .

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبيَّة :

— ولكنه يتماشى مع روح العصر .

غمغم (أندريه) ، وكأنما لم يفهم مغزى العبارة :

— روح العصر ؟!

عاد (كال) يلوح بذراعيه ، قائلًا :

— نعم .. روح العصر .. السرعة والإتقان .. إنهما روح العصر .

عاد (أندريه) يبتسم نفس الابتسامة المخيفة ، وهو يقول :

— فلتقل إذن إننى عتيق الطراز .

غمغم (كال) فى عصبيّة :

ـ هذا شأنك .

ثم أشار إلى الشاشة التليفزيونية ، المنصوبة أمامهما ، مستطردًا فى حدّة :

ـ متى ينتهى هذا السُّخف ؟

ابتسم (أندريه) ابتسامة شرسة ، وتألّقت عيناه ببريق وحشىّ مخيف ، وهو يقول :

ـ حينما يظنّ الفأران أنهما قد بلغا مشارف النجاح .. عندئذ فقط يحيط بهما الفشل .

وأطلق ضحكة وحشيّة ساخرة ، وهو يراقب الشاشة ، التى نقلت إليه صورة رجلين يتقدّمان نحو فيلّته ..

صورة (أدهم) و (خالد) ..

* * *



٤ ـ الجحيم ..

أرخى (أدهم) تلك القبعة التقليدية ، التى يرتديها رجال (أندريه) ، فوق عينيه ، وهو يغمغم محدّثًا (خالد) :

ـ استعد .. لقد اقتربنا كثيرًا .. وعندما نصل إلى بوّابة الفيلّا ، سنبدأ هجومنا ، و ......

بتر (أدهم) عبارته فجأة ، على نحو أثار توتُّر (خالد) وقلقه ، فسأله :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه (أدهم) فى صوت خافت ، يجمع بين الحَنق والحزم :

ـ انظر هناك .. توجد كاميرا تليفزيونية تتابعنا ، فوق مدخل الفيلّا ..

أراهنك أن ذلك الجنرال الشيطان قد علم مَنْ نحن .

اختلس (خالد) النظر إلى آلة التصوير ، وغمغم فى توتُّر :

ـ يا إلهى !!.. أأنت واثق من هذا ؟

غمغم (أدهم) فى حزم :

ـ إلى حدّ كبير .

اشتدّت قبضة (خالد) على مدفعه ، وهو يغمغم :
ــ ماذا سنفعل إذن ؟
أجابه (أدهم) فى هدوء ، ودون أن يرفع عينيه عن آلة التصوير :
ــ لا مجال للتراجع .. سنفاجئهم قبل أن يفاجئونا .
سأله بمزيد من التوتُّر :
ــ كيف ؟
جذب (أدهم) إبرة مدفعه ، قائلًا فى صوت قوىّ :
ــ سنهجم الآن .
وفور نطقه بآخر حروف كلمته ، شهَر كلاهما مدفعه ، وانطلقا بغتة نحو الفيلّا ..
واشتعلت النيران فى قلب الجحيم ..

* * *

بدا صوت الملحق العسكرىّ مُفْعَمًا بالأسف والأسى ، وهو يدلف إلى حجرة القنصل ، قائلًا :
ــ لقد وصل ردّ (القاهرة) .
رفع إليه القنصل رأسه ، يسأله فى اهتمام :
ــ بِمَ أجابوا ؟

تنهّد الملحق العسكرىّ فى أسف واضح ، وهو يقول :
ــ بضرورة مراعاة العلاقات الدبلوماسيّة أوّلًا ، حتى يتم الحصول على دليل قاطع .
بدا لحظة أن القنصل قد تجمّد فى مكانه ، ثم لم يلبث أن عاد يسترخى فى مَقْعَده ، وهو يقول :
ــ كنت أتوقَّع ذلك .
ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يغمغم الملحق العسكرىّ :
ــ هل تعلم ؟.. إننى أكره التحرُّكات السّياسيّة البطيئة .
غمغم القنصل فى خُفوت :
ــ ولكنها حَتْمِيَّة .
مطّ الملحق العسكرىّ شفتيه ، قائلًا فى حَنَق واضح :
ــ ومَضْيَعَة للوقت .
تنهّد القنصل مغمغمًا :
ــ ربَّما .
ران عليهما الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يقول الملحق العسكرىّ ، فى لهجة حازمة :
ــ إننى أفضّل أسلوب هذه الفتاة .

تردّد القنصل ، وبدا لحظة وكأنه سيوافقه على قوله ، ثم لم يلبث أن لوّح بكفّه ، قائلاً :

ـــ لكل منّا دوْرُه .

شرد بصر الملحق العسكرى لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـــ نعم .. لكل منا دوْرُه .

وتألّقت عيناه ببريق عجيب ..

* * *

من العجيب حقًّا ، أنه ، وعلى الرغم من أن (أندريه) كان يراقب كل تحرُّكات (أدهم) و (خالد) ، إلّا أن هجومهما قد فاجأه حقًّا ..

ربما لأنه لم يكن يتوقّعه فى تلك اللحظة بالذات ..

أو أنه لم يتصوَّر أبدًا أن يفقد زمام المبادرة هكذا بغتة ..

ولقد فوجئ كل رجال (أندريه) بالهجوم أيضًا ..

كان كل شىء ـــ بالنسبة لهم ـــ يسير على ما يرام ، حينما فوجئوا بالنيران تشتعل بغتة ، وباثنين يرتديان زيًّا يشابه زيّهم ، يندفعان فجأة نحو الڤيلا ، وهما يطلقان النيران حولهما فى غزارة ..

ومضت عشر ثوان كاملة ، قبل أن يُفيق رجال (أندريه) من دهشتهم ، وخلال هذه الثوانى العشر ، كان (أدهم) و (خالد) قد بلغا مدخل الڤيلّا ، وأطلقا النيران على حارسيها ، واقتحماها ببسالة نادرة ..

واستقبلهما بالداخل طاقم مكوَّن من ستة حرَّاس ، أطلقا عليهم النيران مباشرة ، ولكن رصاصات (أدهم) و (خالد) كانت أكثر دقَّة ، فلقد أسقطا أربعة من الحرَّاس الستة مباشرة ، دون أن تصيبهما رصاصة واحدة ، ولكن ..

من العجيب أن الأمور كلها تنقلب ، بعد تلك الحروف الثلاثة .. اللام والكاف والنون ..

الهزيمة تتحوَّل إلى نصر ..

والنصر يتحوَّل إلى هزيمة ..

لقد كانت كل الدلائل تشير إلى أن (أدهم) و (خالد) قد نجحا فى اقتحام الڤيلّا ، وأنهما سرعان ما يسيطران عليها ، ويوقعان بالجنرال الشيطانى ، ولكن فجأة انطلقت داخل بهو الڤيلّا سحب كثيفة من الدُّخان ..

دُخان مخدِّر خاصّ ، أدرك (أدهم) كُنْهه على الفور ، فصاح فى رفيقه :

ـ احترس .. إنه غاز مخدّر ..

حاول (خالد) أن يحبس أنفاسه ، إلّا أن هذا بدا له مستحيلًا ، فتراجع وهو يطلق رصاصات مدفعه فى سخاء ، وكذلك فعل (أدهم) ، ولكن نيران حرّاس المعتقل استقبلتهما عند مدخل الفيلّا ، ولم يعُد هناك مفرّ ..

الجحيم أمامهما وخلفهما ..

نيرانها أمامهما ، ودُخانها خلفهما ..

وعلى الرغم منهما ، راح الغاز المخدّر يؤدّى عمله .. وسقطا ..

سقط بطلانا فاقدى الوعى ، وسط أعدائهما ..

وأعلنت الجحيم انتصارها فى الجولة الثانية ..

انتصارها الساحق ..

* * *

انتفضت (منى) فجأة فى فراشها ، وخيّل إليها أن خنجرًا قد اخترق قلبها ، ودفعها إلى الاستيقاظ دفعة واحدة ، فهبّت جالسة على فراشها ، وهى تهتف فى لوعة :

ـ (أدهم) ؟!

احتبست الحروف فجأة فى حلقها ، حينما بدا لها ، على

الضوء الخافت ، جسد رجل ، يجلس هادئًا فوق مقعد وثير ، فى نهاية الحجرة ، فامتدّت يدها بحركة غريزية ، تبحث عن مسدّسها ، وشعرت بحنق شديد حينما لم تجده ، وتحرّكت على نحو يُوحى بأنها ستهاجم الرجل ، الذى أوقفها قائلًا :

ـ مهلًا .. لا داعى لكل ذلك التوتر والانفعال .. إننى العقيد (مجدى) ..

الملحق العسكرىّ .

عقدت حاجبيها ، وهى تحاول تبيُّن ملامحه ، وسط الضوء الخافت ، قبل أن تقول فى حِدّة وخشونة :

ـ ما الذى تفعله هنا ؟

حمل إليها صوته كل خجله وارتباكه ، وهو يغمغم :

ـ معذرة .. إننى لم أقصد ذلك .. لقد كنت متلهّفًا لاستيقاظك ، حتى أننى لم أطِق صبرًا ، فجلست أتأمّلك ، و .....

بدا من الواضح أنه لم يجد ما يضيفه ؛ إذ بتر عبارته ، وصمت لحظات ، قبل أن يغمغم فى صوت أشد خفوتًا :

ـ معذرةً .

تنهّدت ، وهى تلوح بكفّها ، مغمغمة :



احتبست الحروف فجأة فى حلقها ، حينما بدا لها ، على الضوء الخافت ، جسد رجل ، يجلس هادئًا فوق مقعد وثير ..

ـ لا عليك .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يسألها فجأة فى اهتمام :

ـ أتنتمين حقًا للمخابرات المصرية ؟

أعادها سؤاله فجأة إلى واقعها ..

إلى كل عذاب الواقع ..

إلى خوفها على (أدهم) ، وجهلها لمصيره ..

وهتفت فى توتُّر :

ـ يا إلهى !!.. ما كان ينبغى أن أستسلم للنوم .

قفزت من فراشها على نحو أدهشة ، وراحت ترتدى حذاءها فى سرعة ، وهى تقول فى لهفة :

ـ قُل لى يا سيادة الملحق العسكرى .. أيمكنك أن تعيرنى سلاحًا ، أو .....

قاطعها فى حَيْرة :

ـ مهلًا .. ما الذى تنوين فعْله ؟

أجابته فى حزم :

ـ اسمع يا سيادة الملحق العسكرى لقد كشفت مؤامرة شيطانية رهيبة ، تهدف إلى تدمير اقتصاد (مصر) ، ولقد

أنبأتكم بها ، وعليكم أن تتخذوا الإجراءات اللازمة ، لمنع ودرء الخطر القادم ، أمَّا أنا ، فلدىّ مهمَّة بالغة الخطورة والأهمية ، فلقد انفصلت عن زميلى وسط الأحراش ، وكانت هناك هليوكوبتر تطارده ، ولابدَّ لى من العودة إليه ، و .....

قاطعها الملحق العسكرىّ ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ هليوكوبتر ؟!.. لقد لقىَ حتفه بالتأكيد .. ما من رجل يصمد أمام (هليوكوبتر) ..

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حزم :

ــ ليس عندما يكون هذا الرجل هو (أدهم) .

اتسعت عينا الملحق العسكرىّ فجأة ، وحدّق فى وجهها بدهشة ، وهو يهتف :

ــ (أدهم) ؟!.. مهلًا .. أزميلك هذا هو (أدهم صبرى) ؟

سألته فى دهشة :

ــ هل تعرفه ؟

هتف فى حماس :

ــ ومنذا الذى يجهله ؟

ثم أمسك معصمها ، مردفًا فى حزم :

ــ لقد عاونتنى تلك المعلومة على حسم أمرى تمامًا .. إننا سنعود إلى الأحراش معًا ..

واعتدل ، مستطردًا فى اعتزاز :

ــ من أجل (أدهم صبرى) .

* * *

« يبدو أنه قد استعاد وعيه » ..

كانت تلك العبارة الباردة الصوت والنبرات ، هى أوّل ما تسلّل إلى ذهن (أدهم) ، وهو يستعيد وعيه للمرّة الثانية ، ففتح عينيه فى بطء ، وتطلّع فى هدوء إلى صاحب الوجه النحيل ، والشارب الكثّ ، الذى يقف أمامه فى صرامة ، مرتديًا زيّه العسكرىّ القديم ، الذى يعود طرازه إلى الحرب العالمية الثانية ، وغمغم فى سخرية :

ــ عجبًا !!.. لم أكن أتصوّر أن زبانية الجحيم يرتدون زيًّا رسميًّا !

لم يزد (أندريه) على أن مطّ شفتيه فى برود ، وهو يقول :

ــ دُعابة سخيفة .

استعاد ذهن (أدهم) صفاءه تمامًا ، فتبيّن له أنه يجلس فوق مقعد كبير ، وإلى جواره ، وعلى مقعد مماثل ، يجلس (خالد)

فاقد الوعى ، وخلفهما ما يقرب من عشرة رجال ، يصوِّبون إلى رأسيهما فوَّهات مدافعهم الرشّاشة ، وأمامهما يقف الجنرال (أندريه) ، بجسده النحيل وشاربه الكثّ ، و (فرديناند كال) ، بجسده البدين ، ووجهه المكتظ الحليق ، وهو يحتسى كأسًا من الخمر ، ويتفرَّس فى وجه (أدهم) فى اهتمام بالغ ..

ولكن شيئًا آخر جذب اهتمام (أدهم) وانتباهه فى شدَّة ..

وكان ذلك الشىء هليوكوبتر صغيرة ..

هليوكوبتر تقبع ساكنة ، وسط فناء صغير ، يبدو من نافذة خلف (أندريه) ..

ولقد بدت تلك الهليوكوبتر لـ(أدهم) وسيلة جيِّدة ؛ للفرار من المعتقل ..

ومن قلب الجحيم ..

ولكن كيف ؟...

كيف ؟ ..

* * *

٥ ـــ العذاب ..

جلست (منى) صامتة بعض الوقت ، داخل سيَّارة الملحق العسكرىّ ، التى يقودها هو عبْر شوارع (تايبه) ، على نحو يؤكِّد علمه بالجهة التى يذهب إليها ، ثم لم تلبث أن سألته فجأة :

ـــ هل تعرف (أدهم) منذ زمن طويل ؟

ابتسم الملحق العسكرىّ ، وأجاب فى هدوء :

ـــ منذ عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين .

تأمَّلته فى اهتمام ، وهى تقول :-

ـــ كنت زميله فى القوَّات الخاصَّة إذن ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، فهمَّت بإلقاء سؤال آخر ، لولا أن توقَّف بالسيَّارة ، وغادرها ، وهو يقول :

ـــ انتظرى هنا .

قبعت فى مكانها تنتظره فى قلق ، وهى تتساءل عن السبب ، الذى حدا به إلى إحضارها إلى تلك البقعة التجارية ، التى تُعَدُّ من أكثر مناطق التجارة شهرة ، فى (تايوان) كلها ، وراحت تنقِّل بصرها بين المارَّة ، حتى رأته يعود ، بصحبة شابّ آسيوىّ ، دلف إلى المقعد الخلفى للسيَّارة فى صمت ، على حين

انتقل الملحق العسكرىّ إلى مقعد القيادة ، وانطلق بالسيّارة ، وران على الثلاثة صمت طويل ، قبل أن يقول الملحق العسكرىّ بالإنجليزية :

ــ كيف حال جهاز استخباراتك يا (مونو) ؟

أجاب الشاب الآسيوىّ فى هدوء واقتضاب :

ــ جيِّد .

ابتسم الملحق العسكرىّ ، وقال :

ــ تُرى كم تكلِّف المعلومات الآن ؟

أجاب الشاب ، وهو يسترخى فى مَقْعَدِه :

ــ هذا يتوقَّف على نَوْعِها وكمِّها .

عقد الملحق العسكرىّ حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ سأدفع لو أنها تستحق .. ألديك أيَّة معلومات عن مطاردة بين هليوكوبتر ورجل ، فى الأحراش ؟

ران الصمت لحظة ، ثم قال (مونو) :

ــ أأنت على استعداد لدفع ألف دولار أمريكى ؟

أجابه الملحق فى اقتضاب وحزم :

ــ نعم .

اعتدل (مونو) ، وأخذ يقول فى حماس :

ــ لقد كانت هناك هليوكوبتر حربية ، تحمل رجلين : أحدهما رئيس الشرطة (هنرى كلارك) ، وكانت تطارد شيطانًا .

عقد الملحق العسكرىّ حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يغمغم :

ــ شيطان ؟!

أجابه (مونو) فى حماس :

ــ نعم .. شيطان !! أرأيت فى حياتك كلها رجلًا عاديًّا يُوقع هليوكوبتر ، ويحطِّمها تحطيمًا ؟!

تهلَّلت أسارير (منى) ، وهى تهتف :

ــ كنت أعلم ذلك .. كنت أعلم أنه سينتصر .

لم يهتم الملحق العسكرى بفرحتها ، وهو يسأل (مونو) :

ــ وماذا حدث لذلك الشيطان بعد ذلك ؟

أجابه (مونو) فى لهجة تُوحِى بالأسف :

ــ لقد أوقعه الجنرال (أندريه) فى فخٍّ ، وأفقده وعيه ، وحمله إلى معتقله .

شَحُب وجه (منى) ، وهى تهتف فى ارتياع :

ــ يا إلٰهى !!.. أهو حىّ ؟

هزَّ (مونو) رأسه نفيًا ، وهو يغمغم :

— لا أحد يدرى .. من المستحيل معرفة ما يحدث داخل الدائرة الجهنمية .. إن حدود معرفتى تقتصر على خارجها فحسب .

قال الملحق العسكرىّ فى حزم :

— حسنًا يا (مونو) .. هذا يكفى .

ثم التقط من جيبه رزمةً من أوراق مالية ، ألقاها إليه ، فالتقطها (مونو) بابتسامة واسعة ، وانحنى قائلًا :

— شكرًا يا سيِّدى .. (مونو) فى خدمتك دوْمًا .

أوقف الملحق سيارته على جانب الطريق ، فغادرها (مونو) فى سرعة ، وانحنى مرَّة أخرى ، على حين هتفت (منى) فى ارتياع :

— يا إلهى !!.. (أدهم) هناك .. (أدهم) بين أيديهم .

غمغم الملحق العسكرىّ فى ألم ومرارة :

— لا أظنهم سيتركونه حيًّا .

تشبثت به ، وهى تهتف :

— لن نجلس ونتركه بين أيديهم ، لابُدّ أن نفعل شيئًا .. لابُدّ .

أومأ برأسه فى هدوء ، وهو يقول فى حزم :

— اطمئنى .. إننا لن نتركه لهم .. سننطلق خلفه عبْرَ (الدائرة الجهنمية) ..

سنخترق أسوار الجحيم .

* * *

ظلَّ (أندريه) يراقب (أدهم) لحظات ، بنظراته الباردة الصارمة ، قبل أن يعقد كفَّيه خلف ظهره ، قائلًا :

— أسلوبك فى القتال مثير حقًّا يا مستر (أدهم) .. ولكن فاتك أن تعلم أن كل ركن فى معتقلى مراقب بآلات التصوير التليفزيونية .. لقد راقبتك وأنت تقاتل رجالى الخمسة فى سرعة ومهارة مُذهلتين .. إنك تستحق حقًّا ذلك الاهتمام الشديد الذى كان يُوليك إيَّاه (هنرى) قبل مصرعه .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— وأنت لا تستحق لقب جنرال هذا .. إنك أشبه بمهرِّجى السِّيرْك .

لم يبْدُ أى تأثر فى ملامح (أندريه) الباردة ، على حين ابتسم (كال) ، وكأنما راقت له دُعابة (أدهم) ، وقال :

— ليس إلى هذا الحدّ .

التفت إليه (أندريه) ، ورَمَقَهُ بنظرة صارمة ، ثم التفت إلى (أدهم) قائلًا :



ـــ اسمع يا مستر (أدهم) .. إنك الآن فى معتقلى الخاص ، أو كما يطلق عليه البعض ، جحيمى الخاص ، ونحن هنا لا نتسامح مع من يسخرون منّا ..

ـــ دُعابة سخيفة كالمعتاد يا مستر (أدهم) .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـــ عجبًا !!.. من قال إنها دُعابة ؟.

انعقد حاجبا (أندريه) ، على نحو يشفُّ عن غضبه ، ومال نحو (أدهم) ، قائلًا فى صرامة :

ـــ اسمع يا مستر (أدهم) .. إنك الآن فى معتقلى الخاصّ ، أو كما يطلق عليه البعض ، جحيمى الخاصّ ، ونحن هنا لا نتسامح مع مَنْ يسخرون منّا ، وأساليبنا فى استجوابهم وترويضهم فريدة مميَّزة .

وفرْقع سبَّابته وإبهامه ، وهو يعتدل ، فدفع بعض رجاله رجلًا زرِىَ الهيئة تحت قدميه ، وقال هو مستطردًا :

ـــ هل ترى هذا الحقير ؟.. إنه أحد المعتقلين هنا ، ولقد نجح أمس فى الفرار .. أو هكذا تصوَّر ، فاختبأ داخل إحدى سيَّارات التموين ، واخترق بواسطتها (الدائرة الجهنمية) ، التى تحيط بالمعتقل ، ثم غادرها قرب النهر ، متصوِّرًا أنه قد نجح ، ولكننا ألقينا القبض عليه هناك ، وأعدناه .

والتفت إلى السجين الزَّرِىَ الهيئة ، مستطردًا فى صرامة :

ـــ أليس كذلك يا (كوريل) ؟

غمغم السجين فى مرارة :

ـ اذهب إلى الجحيم .

برقت عينا (أندريه) ببريق وحشىّ ، وهو يقول :

ـ لست أنا مَنْ سيذهب إلى الجحيم يا (كوريل) .. بل أنت .

أشار بطرف عينه إلى رجاله ، فهوى أحدهم بكعب بندقيته على مؤخرة عنق (كوريل) ، الذى جحظت عيناه ، وارتجف جسده ، ثم هوَى فاقد الوعى ، فأشار (أندريه) إلى رجاله ، وقال وهو يختلس النظر إلى (أدهم) ، وكأنما يريد معرفة ردّ فعله :

ـ خذُوا ذلك الحقير من هنا ، وانتظروا حتى يستعيد وعيَه ، ثم انزعوا أظفاره كلها ، واشْوُوا قدمَيْه ، وأخيرًا اسلخوا جلده حيًّا .

حمل الرجل (كوريل) المسكين ، على حين ابتسم (أندريه) فى ثقة ، وهو يلتفت إلى (أدهم) ، قائلًا :

ـ أنت لا تحبُّ أن تلقى المصير ذاته .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى ازدراء :

ـ لو أنها الوسيلة الوحيدة لتفادى رؤية وجهك القبيح ، فأنا أرحب بها .

رمقه (أندريه) بنظرة ساخطة مُختنقة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ اطمئن أيها المصرىّ .. ستحصل عليها بالتأكيد .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ هلُمَّ بها إذن ، فقد سئمت رؤيتك .

أطلق (كال) ضحكة ساخرة ، أسرع يكتمها مع نظرة (أندريه) الصارمة ، ومال نحو (أدهم) ، قائلًا :

ـ من الواضح أنك لا تهاب الموت ، وبأيَّة وسيلة كان ، يا مستر (أدهم) ، ولكنك تحبُّ وطنك كثيرًا .. أليس كذلك ؟

تأمّله (أدهم) لحظة ، ثم ابتسم فى سخرية ، قائلًا :

ـ دعْنى أخمِّن أوّلًا مَنْ أنت .. جسد أشبه بفرس النهر ، ووجه أشبه بالخنزير ، ورائحة كمستنقع بدائىّ .. إنك الحاكم الوغد (فرديناند كال) بالتأكيد .

لم تغضب كلماته (كال) ، أو هكذا بدا ، حينما ابتسم هذا الأخير ، وقال :

ـ على الرغم من رفضى لأسلوبك فى الاستنتاج ، إلّا أننى بالفعل (فرديناند كال) .

ومال نحو (أدهم) ، مستطردًا فى سخرية :

ـ الذى سيحطِّم اقتصاد بلادك تمامًا ؟

غمغم (أدهم) فى غضب صارم :

ـ أتحدَّاك ؟

أطلق (كال) ضحكة ساخرة عالية ، ورشف رشفة من كأسه ، ثم قال :

ـ الأمر لا يخضع للتحدِّى يا مستر (أدهم) .. إنها لُعبة اقتصادية ، مدروسة ومحسوبة بدقَّة بالغة .. لُعبة قوامها مليارات الدولارات .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا :

ـ هل تعلم ماذا نطبع هنا ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ أوراق النقد المصرية .

تراجع (كال) هاتفًا فى مرح :

ـ رائع .. إنك تعلم ذلك .

ثم عاد يميل نحوه بغتة ، مردفًا :

ـ ماذا نفعل بها فى تصوُّرك ؟

لم يُحرْ (أدهم) جوابًا ، وهو يتطلَّع إليه فى سخرية ، فنهض (جال) من مقعده ، ولوَّح بذراعيه على نحو مسرحىّ ، وهو يهتف :

ـ سأخبرك أنا .. إننا نطبع أوراق النقد الخاصَّة بكم ، على نفس الورق المستخدم لذلك ، وبنفس الأحبار وأساليب الطباعة ، أى أنها ستكون بالنسبة لكم أوراقًا سليمة تمامًا ، من المستحيل إدعاء أنها مزوَّرة ، والخطوة التى تلى ذلك هى أن تدخل تلك الأوراق إلى بلادك ، فتحقِّق بذلك هدفين رائعين : أوَّلهما : أننا سنشترى بها كميَّات هائلة من الدولارات ، ممَّا يرفع سعر الدولار ، فتنخفض قيمة عملتكم بالتالى ، وثانيًا : ستعانون تضخُّمًا أشبه بالتُّخمة ، من كثرة الأوراق المالية المطروحة ، بلا سند أو احتياطى مختزن ، ومجموع العاملَيْن سيؤدِّى فى النهاية إلى نتيجة رائعة .

أطلق ضحكة مجلجلة ، قبل أن يُردِف فى جذل :

ـ سينهار اقتصادكم تمامًا .

غمغم (أدهم) فى مقت :

ـ يا لحقارتك !!

تجاهل (كال) العبارة تمامًا ، وهو يقول :

ـ وعندئذ تبرز مجموعتنا الاقتصادية كالمنقذ ، فنقرضكم ما يقى اقتصادكم شرّ الانهيار ، بالدولارات التى سنجمعها من أسواقكم بالطبع .. مع سعر فائدة مرتفع ، وبعض المميِّزات ، وتهديد بالاستمرار فى تحطيم الاقتصاد فى حالة الرفض .

أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، ثم مال نحو (أدهم) ، قائلًا في شماتة :

ــ ما رأيك في كل هذا يا مستر (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

ــ أتريد رأيي حقًّا ؟

هتف (كال) في جذل :

ــ بالتأكيد .

وفجأة ، وعلى الرغم من فوّهات المدافع العشرة ، المصوّبة إلى رأسه ، ارتفعت قدم (أدهم) ، لتركل أنف (كال) في قوّة ، وهو يهتف في صرامة غاضبة :

ــ ها هو ذا ردّى أيها الوغد .

وكان من المستحيل منع المذبحة ..

* * *



٦ ــ الهــروب ..

كانت تلك الركلة ، التي تلقّاها (فرديناند كال) في وجهه ، والتي حطّمت أنفه المتغطرس ، وألقت به مترين إلى الوراء ، وأسقطته بجسده البدين كجوال بطاطس مكتظ ، هي البداية ..

بداية المعركة ..

فلم تكد قدم (أدهم) تتراجع ، حتى قفز جسده كله في خفّة مذهلة ، وارتفعت قدماه تركلان وجهي حارسين من رجال (أندريه) ، قبل أن يدور على عقبيه في سرعة رهيبة ، وتهشّم يُمناه أسنان حارس ثالث ، وتحطّم يُسراه أنف رابع ..

كل هذا في الثانية الأولى من المعركة ..

وفي الثانية التالية ، كان ثلاثة من الحرّاس الستة الباقين ، قد أدركوا أنهم يواجهون رجلًا غير عادى ، يحتاج منهم إلى يقظة تامّة ، وإقدام فائق ، وعندما توصّلت عقولهم إلى تلك النتيجة ، وأصدرت أوامرها إلى أصابعهم ، للضغط على أزندة مدافعهم ، كان جسد (أدهم) يدور حول نفسه دورة رأسية خلفية ، ويلقي في قلوبهم رُعبًا وذُهولًا جديدين ، قبل أن يهبط على قدميه

خلف (أندريه) تماما ، ويطوّق عنق هذا الأخير بساعده الأيسر ، ثم يلتقط مسدّسه من جرابه بيمناه ، ويجذب إبرته ، وهو يلصق فوّهته برأسه ، هاتفا :

ــ لن أطلب منكم الاستسلام ، فهذا يتوقّف على ما إذا كنتم تريدون جنرالكم الهزليّ هذا أم لا .

تسمّر الجميع فى أماكنهم ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ، وهم يتطلّعون إلى (أدهم) و (أندريه) ، باستثناء (كال) ، الذى أمسك أنفه المحطّم ، هاتفا فى ألم ، جعله أشبه بطفل صغير ، سقط من فوق درّاجته بغتة :

ــ أنفى .. لقد حطّم أنفى .

هتف (أندريه) فى سخط :

ــ أتظن أنك ستنجح فى الفرار من هنا هكذا ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ــ إلى حدّ ما .. وتذكّر أننى لن أخسر شيئا ، فالموت العاجل أكثر رحمة من البقاء بين أيديكم .

عقد (أندريه) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ــ دعنى أخبرك إذن أن الفرار من هنا مستحيل ، فحتى لو تجاوزت الأسلاك الشائكة المكهربة ، ورجال الحراسة ، فسيكون من رابع المستحيلات أن تنجح فى اختراق (الدائرة

الجهنمية) ، من المستنقعات والأحراش ، التى تحيط بنا ، دون أن يصحبك دليل محنّك ، قضى نصف عمره وسطها .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ولكن هناك وسيلة مضمونة بالفعل .

تبادل الجميع نظرات الحَيرة ، وغمغم (كال) ، وهو يمسك أنفه المحطّم :

ــ أين ؟

أشار (أدهم) إلى الهليوكوبتر ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ــ ها هى ذى .

* * *

أوقف العقيد (مجدى) ، الملحق العسكرىّ ، سيّارته أمام النهر ، والتفت إلى (منى) ، يسألها فى اهتمام :

ــ أأنت واثقة من أنكما قد عبرتما النهر من هذه النقطة ؟

أجابته فى اهتمام مماثل :

ــ تمام الثقة ، ولكننا لن نعبر من نفس النقطة بالتأكيد فالجسر محطّم كما ترى ، وسنعبر من الجسر القادم ، على بعد كيلومترين من هنا .



ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
ـــ ولكن هناك وسيلة مضمونة بالفعل ..

أدار محرّك سيّارته ، واتجه نحو النقطة التى أشارت إليها ، وهو يقول :

ـــ لا بأس .. فلنراجع ما لدينا من أسلحة إذن .. مدفعان آليان ، وستة قنابل يدوية ، وصندوق ذخيرة ، ومسدّسان .. أهذا يكفى ؟

غمغمت :

ـــ أعتقد ذلك .

ثم التفتت إليه ، تسأله فى اهتمام :

ـــ قُل لى .. لماذا تفعل كل هذا ؟.. لقد استبدلت بسيّارتك الخاصّة أخرى من نوع (الجيب) ، لتصلح لاختراق الأحراش ، ودفعت مبلغًا ضخمًا لشراء تلك الأسلحة ، فما دافعك إلى كل هذا ؟

صمت لحظات ، انعقد خلالها حاجباه فى حزم وحسم ، قبل أن يقول فى هدوء .

ـــ أنسيت أننى مصرى ؟!.. وأنه من الطبيعى أن يستثيرنى كل ما يهدّد أمن وسلامة وطنى ؟

تأمّلته فى إمعان ، ثم قالت :

ـــ كلّا .. ليس هذا هو السبب الوحيد .

عاد إلى صمته بعض الوقت ، حتى بلغت السيّارة الجسر الآخر ، فراح يعبُره فى حذَر ، حتى انتقلا إلى الجانب الآخر ، فأوقف السيّارة ، والتفت إليها قائلًا :

— هناك سبب آخر بالتأكيد .

سألته فى اهتمام :

— ما هو ؟

شرد ببصره لحظات ، قبل أن يقول :

— إننى أدين لـ (أدهم صبرى) ..

هتفت :

— بماذا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— بما يستحق أن أفعل من أجله كل هذا .

وعاد يشرد ببصره ، مستطردًا :

— وبما يستحق أن أخترق من أجله الجحيم نفسه ..

* * *

وقع قول (أدهم) فى نفس (أندريه) كالصاعقة ، فشحُبَ وجهه ، أو ازداد شحُوبًا على وجه الدقّة ، وهو يغمغم :

— الهليوكوبتر ؟!

أجابه (أدهم) فى سخرية ، وهو يشدّد من ضغط ساعده على عنقه :

— هل تروق لك ؟.. إنها وسيلة طريفة للغاية ، فبواسطتها يمكن عُبور الأسلاك الشائكة ، مهما بلغ ارتفاعها ، و (الدائرة الجهنمية) ، مهما بلغ اتساعها ، أو بلغت مساحتها .

تحشرج صوت (أندريه) ، وهو يغمغم :

— ومن سيسمح لك ؟

أجابه (أدهم) فى صوت أكثر سخريةً :

— أنت بالطبع .

ثم اكتسى صوته بالصرامة ، وهو يواجه رجاله ، مستطردًا :

— هيًا أيها الأوغاد الظرفاء .. سأصحب زعيمكم إلى الهليوكوبتر ، وسيكون عليكم أن تنقلوا زميلى إليها ، حتى يستعيد وَعْيَه ، ثم تبتعدون بمسافة كافية ، حتى نقلع ، وأعدكم أن أرسل لكم بطاقات لطيفة ، من المكان الذى سنمضى إجازتنا فيه .

عقد (كال) حاجبيه فى توتُّر ، وهتف (أندريه) فى سخط :

— مستحيل !.. لن أوافق على ذلك أبدًا .

جذب (أدهم) إبرة مسدّس (أندريه) ، وبدا صوته شديد الحزم والصرامة ، يجمد له الدم فى العروق ، وهو يقول :

— كما يحلو لك أيها الجنرال .. إننى أمنحك نصف دقيقة لاتخاذ قرارك ، وبعدها لا تلومَنَّ إلا نفسك ، فستخترق رصاصتى مُخّك .. لو أنك تملك واحدًا .. هيَّا .. أسرع .. إننى لا أتميَّز بالصَّبر .

* *

تنهَّد العقيد (مجدى) فى عمق ، وهو يقول :

— عجبًا !!.. هذه الأحراش تبدو متشابهة للغاية !

فردت (منى) أمامها خريطة المكان ، وأشارت إلى دائرة رسمها (مونو) ، وقالت :

— المفروض أن هذا هو موضع المعتقل .

ألقى (مجدى) نظرة سريعة على الخريطة ، وقال :

— هذا صحيح .

ثم تطلَّع إلى البوصلة ، مستطردًا :

— وهذا يعنى أن نتجه إلى الشمال الشرقىّ .

قال هذا ، وعاد إلى موضعه ، خلف عجلة القيادة ، وانطلق بالسيَّارة ، فسألته (منى) فى قلق :

— أتظن أننا سننجح فى الوصول إلى المعتقل ؟

ابتسم ، وهو يهتف :

— بالتأكيد

ثم اكتسى وجهه بلمحة صارمة ، وهو يُردِف :

— إن الوصول إلى هناك من أبسط الأمور ، ولكن المشكلة تكمن فى العودة .

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، ثم أردف فى حزم :

— العودة على قيد الحياة .

* * *

وقف رجال (أندريه) يتميَّزون غيظًا ، وهم يتطلَّعون إلى (أدهم) ، الذى استقرَّ على مقعد قيادة الهليوكوبتر ، وأدار محرِّكها ، وإلى جواره يجلس (أندريه) محتقن الوجه غضبًا ، وفوَّهة مسدَّسه ، الذى يمسك به (أدهم) ملتصقة برأسه ، على حين استلقى (خالد) على المقعد الخلفىّ فاقد الوعى ..

وقال (أندريه) فى حدَّة :

— لن يمكنك الفرار حتى النهاية ، فحتى لو عبرْتَ (الدائرة الجهنمية) بالهليوكوبتر ، وبلغت المدينة ، فستجد

نصف رجال الأمن هناك بانتظارك ، فـ (كال) هو حاكم المدينة ، وأنا رئيس جيشها وأمنها ، بعد مصرع (هنرى) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ لاتقلق نفسك بشأنى .. إن وجودك معى يكفل لى الحماية اللازمة .

ازداد احتقان وجه (أندريه) ، وضمَّ شفتيه فى حَنَق وغضب ، على حين بدأ (أدهم) يستعدُّ للإقلاع ..

وفجأة ، استعاد (خالد) وعْيَه ..

استعاده فتأوَّه ، واعتدل ، وغمغم :

ـ أين أنا ؟

ثم امتدَّت يده على نحو غريزى ، فأمسكت معصم (أدهم) ، وأبعدت فُوَّهَة المسدَّس عن رأس (أندريه) ، وهو يستطرد :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

وكانت فرصة نادرة لرجل حرب محنَّك مثل (أندريه) ؛ لذا فقد انحنى فجأة ، فور ابتعاد فُوَّهَة المسدَّس عن رأسه ، وقفز خارج الهليوكوبتر ، صارخًا :

ـ أطلقوا النار يا رجال .. أطلقوا النار .

هتف (أدهم) فى حنق :

ـ اللَّعنة :

وببراعة منقطعة النظير ، جذب عصا القيادة ، وارتفع بالهليوكوبتر فى إقلاع شديد الصعوبة والبراعة والتعقيد ، تلاحقه رصاصات كالمطر ، وهو يهتف :

ـ إلى الجحيم أيها الأوغاد ، سنعبُر (الدائرة الجهنمية) برغم أنوفكم .

ولكن (أندريه) فى أسفل راح يصرخ :

ـ البازوكا .. أطلقوا عليه البازوكا .

لم يسمع (أدهم) ذلك الهتاف ، وهو يناور طلقات الرصاص فى براعة ، ويندفع نحو حاجز الأسلاك الشائكة ..

وعلى الأرض ، هرول عدَّة رجال ، يحملون على أكتافهم مدافع البازوكا الأسطوانية ، نحو مواقعهم ، وصوَّب كل منهم مدفعه نحو الهليوكوبتر ، وصراخ (أندريه) يتعالى :

ـ لاتبالوا بالهليوكوبتر ، دمِّروها .. انسفوها نسفًا .. المهم أن توقِعُوا بذلك الشيطان .. دمِّروها .

انطلقت الدفعة الأولى من القذائف نحو الهليوكوبتر ، التى انحرفت فى مهارة مُذهلة ، وهتف (أدهم) من داخلها :

— يا إلهى !!.. لقد تحوَّلت إلى حرب حقيقية يا (خالد) .. إنهم يمطروننا بالقنابل .

نفض (خالد) دُوارَه وغيبوبته فى سرعة ، وهتف فى توتُّر :

— ألديك أسلحة فى الهليوكوبتر ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— مدفع آلى ومسدَّس فحسب ، ومن غير المنطقىّ أن نواجِهَ بهما الـ......

لم يتم عبارته ..

لم يتمّها أبدًا ..

فقبل أن تكتمل ، أصابت إحدى القذائف الهليوكوبتر ، وَدَوَّى الانفجار ..

دوّى فى سماء المعركة ..

* * *



٧ — الدائرة الجهنَّمية ..

كانت الإصابة مباشرة تمامًا ..

ولقد أطاحت بذيل الهليوكوبتر كله ، ففقدت الهليوكوبتر توازنها ، وراحت تدور حول نفسها كطبق طائر أصابه مسٌّ من الجُنُون ..

وخارج الهليوكوبتر وداخلها ، كانت المشاعر متباينة للغاية ..

لقد صرخ (أندريه) ، على أرض معتقله ، بفرح جُنُونىّ ، وهتف وهو يلوِّح بذراعيه فى هياج وانفعال :

— لقد أصبناه .. لقد أصبنا ذلك الشيطان المصرىّ .

هتف (كال) ، وجسده البدين كله يهتزُّ من فرط الانفعال :

— ألحِقُوا الإصابة بأخرى ، حتى نضمن الفوْز .

صاح أحد رجال (أندريه) :

— لقد أصبح هذا مستحيلًا .. إنها تبتعد فى سرعة ، وستَهوِى وسط الأحراش بالتأكيد .

امتلأ وجه (أندريه) النحيل بابتسامة ضخمة ، وهو يقول :

— اطمئن يا عزيزى (كال) ، فبدون الهليوكوبتر ، لا أمل لهما فى النجاة .

وتألّقت عيناه ببريق وحشىّ ، وهو يستطرد :

ـ لقد انتصرنا كالمعتاد يا صديقى .

أما داخل الطائرة ، فقد راح (أدهم) يبذل جهدًا رهيبًا للسيطرة على مسار الهليوكوبتر ، التى فقدت ذيلها ، ووسيلة توجيهها الوحيدة ، وهتف (خالد) ، وهو يتشبّث بمقعده :

ـ يا إلهى !!.. لقد انتهينا .

هتف به (أدهم) فى حزم :

ـ ليس بعد .. إننى أكره سماع هذه الكلمة ، حتى ولو كان احتمال النجاة لا يتجاوز النصف فى المائة .

تطلّع (خالد) إلى الأشجار المتشابكة الكثيفة ، التى يهويان نحوها فى عنف ، وغمغم فى استسلام :

ـ ما كنت لأنطقها يا سيادة المقدّم ، لو أن الاحتمال يصل إلى هذا النصف فى المائة .

تطلّع (أدهم) بدوْره إلى الأشجار ، وعقد حاجبيه فى شِدّة ..

ثم ارتطمت الهليوكوبتر بقمم الأشجار ، و .....

وانفجرت ..

* * *

تهلّلت أسارير (كال) ، وأندريه ورجاله ، حينما شاهدوا السُّحابة المُتخلّفة عن انفجار الهليوكوبتر من بعيد ، وسمعوا دَوِىّ الانفجار القوىّ ، وتنهّد (أندريه) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ ألم أقُل لك يا عزيزى (كال) ؟.. لا أحد يفرُّ من هنا حيًّا أبدًا .

هتف (كال) فى سعادة ومَرَح :

ـ بالتأكيد يا عزيزى (أندريه) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ الانفعال الشديد يُورِثنى شعورًا بالجفاف فى حلقى .. ألا تشعر بالمثل ؟

ابتسم (أندريه) فى برود ، وقال :

ـ بلَى .. إن لدىّ مفاجأة فى مكتبى .. زجاجة شمبانيا (لوران) .. من إنتاج عام ألف وتسعمائة .

وضع (كال) راحته اليمنى على قلبه ، ولوّح بذراعه اليُسْرَى على نحو مسرحىّ ، وهو يسبل عينيه ، هاتفًا :

ـ يا للشيطان !.. لمحة من الجنة فى قلب الجحيم .. عجبًا !

سار الاثنان إلى فيلّا (أندريه) ، الذى أخرج زجاجة

الشمبانيا ، وصبَّ قليلًا من سائلها الذهبيّ فى كأسين ، ناول إحداهما لـ (كال) ، الذى ارتشف رشفة منها فى تلذُّذ ، ثم ابتسم قائلًا :

ــ ها نحن أولاء قد قضينا على الأسطورة ، التى كان يرتجف لها (هنرى) .

ابتسم (أندريه) ابتسامة باردة ، ورفع الكأس إلى شفتيه ، و (كال) يستطرد فى سخرية :

ــ لقد كان (هنرى) يروى الأساطير عن ذلك المصرىّ ، حتى أنه يُقسم إن أجهزة المخابرات فى العالَم أجمع تخشاه ، وإن كلًّا منها قد تصوَّر يومًا أنه قد نجح فى قتله ، ثم فوجئ به على قيد الحياة ، و .....

تسمَّرت يد (أندريه) فجأة ، والتفت إلى (كال) فى حركة حادَّة ، جعلت هذا الأخير يبتر عبارته ، ويسأله فى قلق :

ــ ماذا حدث ؟

انعقد حاجبا (أندريه) فى صرامة ، وهو يردِّد مقطع (كال) الأخير :

ــ كل منها قد تصوَّر يومًا أنه قد نجح فى قتله ، ثم فوجئ به على قيد الحياة ؟!

غمغم (كال) فى توتُّر :

ــ هذا ما كان يردِّده (هنرى) .

وضع (أندريه) كأسه على المائدة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ وهذا ما ينبغى أن نتحاشاه .

ثم ضغط زِرّ جهاز اتصال فوق مكتبه ، وقال فى حزم :

ــ (دى مال) .. اسمعنى جيِّدًا .. اجمع عشرين رجلًا مسلَّحًا ، فسنقوم بحملة استكشاف فى الأحراش .

وأنهى الاتصال ، وهو يرفع عينيه إلى (كال) ، مردفًا بمزيد من الحزم :

ــ الوسيلة الوحيدة للتأكُّد من موت العقرب ، هى أن تشاهد جثتها المسحوقة يا عزيزى (كال) .. هذه هى سُنَّتى فى الحياة .

* * *

كان الفارق بين الموت والحياة ، فى تلك التجربة الرهيبة ، هو ثانية واحدة ..

ثانية انتزع خلالها (أدهم) نفسه من مقعده ، وانتزع (خالد) من مكانه ، ثم قفز به خارج الهليوكوبتر ، قبل ارتطامها بقمم الأشجار ..

وفوق رأسيهما ، وقبل أن يبلغا الأرض العُشبيَّة ، ارتطمت الهليوكوبتر بالقمم ، وانفجرت ..



نهض (أدهم) فى سرعة ، متجاهلًا الآلام التى تملأ جسده ، وراح يفحص كاحل (خالد) الأيسر فى اهتمام ..

ودفعهما الانفجار ليرتطما بالأرض فى قوَّة ، وظلًا فى مكانهما لحظات ، حتى هدأ الموقف كله ، فتأوَّه (خالد) فى ألم ، وغمغم :

ــ يبدو أن كاحلى قد التوى .

نهض (أدهم) فى سرعة ، متجاهلًا الآلام التى تملأ جسده ، وراح يفحص كاحل (خالد) الأيسر فى اهتمام ، ثم زفر فى قوَّة ، ومطَّ شفتيه ، مغمغمًا فى أسف :

ــ هذا صحيح .. لقد التوى كاحلك .

غمغم (خالد) فى مرارة :

ــ هذا ما كان ينقصنا .

خلع (أدهم) قميصه ، وراح يمزِّقه إلى شرائح رفيعة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ على العكس .. إننا فى خير حال ، بالمقارنة إلى كل ما تعرَّضنا له من مخاطر ، فلقد غادرنا المعتقل الرهيب ، وتجاوزنا أسواره المكهربة ، ونجونا من سقوط الهليوكوبتر وانفجارها ، ولم تتعدَّ خسائرنا التواء كاحلك .. أليس هذا جيِّدًا ؟

تأوَّه (خالد) فى ألم ، حينما بدأ (أدهم) يحيط كاحله بالشرائح الرفيعة فى مهارة وإحكام ، ثم قال :

ـــ كنت سأوافقك على رأيك هذا ، لو أننا قد بلغنا شاطئ النجاة يا سيادة المقدَّم ، ولكن ..

تأوَّه مرَّة أخرى فى ألم ، قبل أن يستطرد :

ـــ ولكننا غادرنا المعتقل ، لنسقط وسط (الدائرة الجهنمية) ، التى تحيط به ، وهذا يَعْنِى أننا قد انتقلنا من سعير إلى جحيم .

عقد (أدهم) أطراف الشرائح فى قوَّة ، وهو يغمغم :

ـــ ليس إلى هذا الحدّ .

ثم اعتدل ، وسأله فى هدوء :

ـــ كيف حال الألم ؟

ارتسمت على شفتى (خالد) ابتسامة شاحبة باهتة ، وهو يغمغم :

ـــ لقد تضاءل كثيرًا .

ثم عاد يستطرد فى قلق :

ـــ هل تدرك معنى وجودنا وسط تلك (الدائرة الجهنمية) يا سيادة المقدَّم ؟

أجابه (أدهم) ، وهو ينهض فى هدوء :

ـــ نعم .. إن ذلك يَعْنِى أنه علينا أن نبذل المزيد من الجهد .

هتف (خالد) :

ـــ بل يَعْنِى أنه علينا أن نواجه عددًا لا حصر له من المخاطر المجهولة .

قال (أدهم) فى حزم :

ـــ فليكن .. لكل مهنة مخاطرها .

ثم مال نحو (خالد) ، مستطردًا فى صرامة :

ـــ اسمع أيها الرائد .. إنك رجل مخابرات مصرىّ ، ومن الصفات الواجب توافرها ، فى رجال المخابرات المصريَّة ، الشجاعة ، والصبر ، والعناد ، والإصرار ، والقدرة على التكيُّف مع الظروف المحيطة ، أيًا كانت صعوبتها .. إننا هنا وسط أحراش نجهلها ، وتحيط بنا مخاطر لا حَصْرَ لها ، ولقد فقدنا كل أسلحتنا تقريبًا ، مع انفجار الهليوكوبتر ، ولم نعُد نملك سوى هذا المسدَّس ، وخزانته التى تحوى أربع رصاصات فحسب ، ولكن من الضرورىّ أن نتجاهل كل هذا ، ونمضى فى طريقنا ، ونبذل أقصى جهدنا للوصول إلى شاطئ النجاة ، مهما بلغت العقبات .

أطرق (خالد) برأسه ، وهو يغمغم :

ـــ أنت على حق يا سيادة المقدَّم .

ثم عاد يرفع إليه رأسه ، مستطردًا :

ــ ولكن هل تعرف الاتجاه ، الذى ينبغى أن نتخذه ؟

اعتدل (أدهم) ، وتلفَّت حوله ، قائلًا فى هدوء :

ــ المعتقل يقع فى الشمال الشرقىّ ، وهذا يَعْنِى أننا لو اتجهنا إلى الجنوب الغربىّ ، فسنبتعد عنه بالتأكيد .

غمغم (خالد) ،وهو ينهض فى صعوبة :

ــ أو نتجه إليه ، لو أننا قد سقطنا على الجانب الآخر له .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. لقد سقطنا على الجانب الغربىّ له ، فلقد كانت الشمس فى وجوهنا ، وهى تغرب .

قال (خالد) ، وهو يستند إلى كتف (أدهم) :

ــ بمناسبة غروب الشمس ، أظن أنه من الأفضل أن نسرع قليلًا ، فبعد لحظات ، سيطبق الظلام على الأحراش تمامًا ، وسيصير اختراقها أشبه باختراق لوح سميك من الصلب ، بواسطة إبرة صدئة ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !

أدار (أدهم) عينيه فى سرعة إلى حيث يتطلَّع (خالد) ، ورأى ما رآه هذا الأخير ..

رأى نمِرًا ضخمًا ، يتطلَّع إليهما بعينين ملؤهما الوحشيَّة والشراسة ..

نمِرًا يحمل توقيع (الدائرة الجهنمية) ..

* * *



٨ ـ المُطَارَدَة ..

اتجهت يد (أدهم) نحو مسدسه فى بطء ، وهو يهمس فى حزم :

ـ اثبت يا (خالد) .. حاول ألا تصدر أية حركة مريبة .. إنه يحاول دراسة قوتنا أولًا ، قبل أن ينقضّ علينا .

ازدرد (خالد) لعابه ، وهو يغمغم :

ـ سأحاول ..

تركّزت عينا النمر الوحشيتان على يد (أدهم) ، وهى تتجه إلى مسدسه ، ثم زمجر النمر فى شراسة ، فغمغم (خالد) :

ـ أسرع يا سيادة المقدم .. أسرع .. إنه .....

وفجأة ، تعثّر (خالد) ..

تعثّر كاحله الملتوى ، فأسقطه أرضًا فى حركة مباغتة ..

وكمحاولة منه لتفادى السقوط ، تشبّث (خالد) بقبضة (أدهم) ، التى تمسك المسدس ، وجذبه معه فى سقطته ..

وكانت الحركة حادّة ومباغتة ، على نحو أثار ثائرة النمر ، فوثب نحوهما ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ..

زمجرة الموت ..

* * *

أشعل (فرديناند كال) سيجاره الفاخر ، ونفث دخانه فى عمق ، وهو يسير إلى جوار (أندريه) ، وسط الأحراش ، وحولهما عشرون رجلًا من رجال هذا الأخير ، الذى غمغم فى صرامة :

ـ رائحة سيجارك تزعجنى يا (كال) .

ابتسم (كال) فى سخرية ، وسحب نفسًا عميقًا من سيجاره ، وعاد ينفثه فى الهواء ، قائلًا :

ـ إنه يحجب عنى بعضًا من رائحة أحراشك العفنة يا عزيزى (أندريه) .

غمغم (أندريه) فى صرامة :

ـ ينبغى أن تعتادها .

أطلق (فرديناند كال) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ لماذا يا عزيزى (أندريه) ؟.. أتنوى اعتقالى هنا ؟!.. حذار يا عزيزى الجنرال ، إننى ـ طبقًا لمنصبى ـ أرأسك ، فأنا حاكم المدينة ، ومن المفروض أن أكون الآن منعّمًا ، وسط الرّياش والطنافس ، ولست هنا ، ضمن حملة حمقاء ، تجتاز أسوأ أحراش فى العالم ، بحثًا عن جثة رجل .

عقد (أندريه) حاجبيه فى حزم ، قائلًا :

ـــ من الضرورىّ التأكُّد من مصرعه ، لإغلاق ملفِّه نهائيًّا .

ثم رَمَقَهُ بنظرة حازمة صارمة ، وهو يستطرد :

ـــ ثم إنك قد تسرَّعت ، وأخبرته بكل شىء ؛ ولذلك بات من الضرورىّ التأكُّد من مصرعه ، حتَّى لا .....

بتر عبارته فجأة ، مع دوِىّ رصاصة ، بدا صوتها شديد الوضوح وسط الأحراش ، مما جمَّد الجميع فى أماكنهم لحظة ، قبل أن يندفع (أندريه) نحو أحد رجاله ، ويسأله فى حزم :

ـــ أهى إحدى رصاصات رجالنا يا (دى مال) ؟

هزَّ (دى مال) رأسه ، وهو يقول فى ثقة :

ـــ السلاح المستخدم هو نفس نوع أسلحتنا يا جنرال .. مسدَّس من طراز (موريس) ، ولكن الرصاصة لم تنطلق من معسكرنا ، بل من هناك .

أشار بسبَّابته نحو الجنوب الغربىّ ، فعقد (أندريه) حاجبيه الكثَّين ، وهو يقول فى حزم :

ـــ متى يمكننا بلوغ نفس النقطة ؟

صمت (دى مال) لحظة ، ثم أجاب :

ـــ بعد ساعة واحدة يا سيِّدى الجنرال .

شدَّ (أندريه) قامته ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. هيَّا بنا .

ثم التفتَ إلى (كال) ، الذى بدا شاحبًا ، وقال له فى صرامة :

ـــ يبدو أن شيطانك المصرىّ يشبه كثيرًا أساطير (هنرى) يا (كال) .

وانعقد حاجباه فى شدَّة ، وهو يُرْدِف فى حزم :

ـــ ولكن الأسطورة ستنتهى هنا .. فى (الدائـرة الجهنمية) ..

* *

كانت طلقة مُحْكَمَة بحقّ ..

لقد جذب (خالد) معصم (أدهم) ، وجذب هذا الأخير معه فى سقطته ، ووثب النَّمر ليفترسهما معًا ، لولا سرعة الاستجابة المذهلة ، التى يتمتع بها (رجل المستحيل) ..

لقد نقل (أدهم) المسدَّس ، فى سرعة فائقة ، من يُمناه إلى يُسراه ، وأطلق رصاصة واحدة نحو النَّمِر ، أخترقت جمجمة هذا الأخير ، قبل لحظة واحدة من وصوله إليهما ..

وسقط النَّمِر بجسده الضخم فوق (أدهم) ..



لقد نقل (أدهم) المسدس ، فى سرعة فائقة ، من يمناه إلى يسراه ، وأطلق رصاصة واحدة نحو النمر ، اخترقت جمجمة هذا الأخير ..

سقط جثة هامدة ، ولكن هذا لم يمنع ثقل وزنه من أن يجثم على أنفاس (أدهم) ، الذى شعر بثقل هائل على ضلوعه ، فجمع كل قوته ، ودفع النمر عن صدره ، ونهض يلهث فى تعب ، فهتف به (خالد) فى خجل :

ـ حمدًا لله ياسيادة المقدم .. لقد كدت أنا أتسبب فى مصرع كلينا ، لولا مهارتك الفائقة .

غمغم (أدهم) فى حسم :

ـ لولا إرادة الله (عزَّ وجلَّ) يا (خالد) .

ومدَّ يده إليه ، يعاونه على النهوض ، مستطردًا :

ـ هيًا يا (خالد) .. لقد صار من الضرورى أن نبتعد بأقصى سرعة ، فلاريب أن الرصاصة قد كشفت أمرنا وموقعنا .

نهض (خالد) ، وهو يغمغم :

ـ أتظن أنهم سيعمدون إلى البحث عنا ، ومطاردتنا ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. لقد صرنا نعلم سرَّهم ، ولن يسمحوا لنا بالفرار به أبدًا .

سأله (خالد) فى اهتمام :

ــ وهل تظنُّ أننا سننجو ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال فى حزم :

ــ هذا يتوقَّف على مشيئة المولى (عزَّ وجلَّ) يا (خالد) .. المهم أن نبذل أقصى ما بوسعنا .

وأمسك بوسطه ، مستطردًا :

ــ هيَّا .. اعتمد على كتفيَّ ، ودعنا نبتعد عن هنا .

سارا عَبْرَ الأحراش الكثيفة فى بطء ، وكل خطوة تستلزم منهما مجهودًا ضخمًا ، بسبب كثافة الأحراش وتشابكها ، وكاحل (خالد) المُلتوى ، حتى شعر (خالد) باليأس ، بعد أن وجد أنهما لم يقطعا سوى كيلومتر واحد ، خلال نصف ساعة كاملة ، فتخلَّى عن كتف (أدهم) ، وألقى جسده أرضًا ، مغمغمًا فى إحباط :

ــ مُحالٌ يا سيادة المقدَّم .. لن تنجح معى أبدًا .

توقَّف (أدهم) ، وهو يقول فى حزم :

ــ سننجح معًا ، أو نفشل معًا .

ابتسم (خالد) ابتسامة مريرة ، وهو يقول :

ــ إصرارك على اصطحابى سيجعل الهزيمة أمرًا محتَّمًا ، فكاحلى متورِّم للغاية ، ويعجز عن حملى لعشرة أمتار .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ــ سأحملك إذا مالزم الأمر ، ولكننى لن أنصرف وحدى .

زفر (خالد) فى قوَّة ، وقال :

ــ هذا ينافى المنطق والعقل يا سيادة المقدَّم .

أجابه (أدهم) فى إصرار وعناد :

ــ فليكن .. إن آخر ما أصرّ على الحفاظ عليه هو المنطق والعقل ..

ثم عادت ابتسامته الساخرة إلى شفتيه ، وهو يستطرد :

ــ والحياة ..

* * *

فحص (دى مال) حطام الهليوكوبتر ، وجثة النمِر ، فى عِناية فائقة ، ثم قال فى لهجة لا تحتمل الشك :

ــ لقد نجوَا يا سيِّدى ، وأصيب أحدهما بالتواء فى كاحلة ، ولقد سارا فى ذلك الاتجاه .. إلى الجنوب الغربى .

هتف (كال) فى دهشة :

ــ كيف يعلم كل هذا ؟.. أهو قارئ غيب ؟

أجابه (أندريه) فى صرامة :

ـــ بل قارئ آثار .. إنه أبرع دليل ومقتف للأثر فى آسيا كلها .

ثم التفت إلى (دى مال) ، ليسأله فى حزم :

ـــ أتظنهما قد ابتعدا كثيرًا يا (دى مال) ؟

تطلّع (دى مال) إلى آثار الأقدام فى إمعان ، ثم أجاب فى هدوء :

ـــ لست أعتقد ذلك ياسيّدى ، فالتواء كاحل أحدهما يجعله يعتمد على الآخر ، والاتجاه الذى اتخذاه يقودهما إلى منطقة أحراش كثيفة للغاية ، وهذا يعنى أنهما سيسيران فى بطء شديد .

سأله (أندريه) فى اهتمام :

ـــ أيمكننا أن نلحق بهما ؟

أومأ (دى مال) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم .. بعد نصف ساعة فقط .

ثم اتجه نحو الأحراش ، وعيناه تبرقان ببريق الفوز ..

* * *

لهث (خالد) فى شدّة ، من فرط الجهد الذى بذله ، لاحتمال آلام كاحله ، وهو يخترق الأحراش ، معتمدا على كتف (أدهم) ، وقال فى توتُّر :

ـــ ياله من موقف سخيف !! لقد صرت أشبه بطفل يحتاج إلى رعاية .

ابتسم (أدهم) فى إشفاق ، وهو يقول :

ـــ كل منّا يمرُّ حتمًا بمرحلة مشابهة يا صديقى .

توقّفا دفعة واحدة ، حينما رأيا أمامهما منطقة ضخمة ، تبرز منها أعواد الغاب القوية ، فهتف (أدهم) فى ارتياح :

ـــ أسلحة .

سأله (خالد) فى دهشة :

ـــ أيّة أسلحة تلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وعاونه على الجلوس ، وهو يقول :

ـــ تلك الأعواد يا صديقى .. إنها أوّل أسلحة عرفها الإنسان .. فجذرها حاد مدبّب ، ويكفى أن تقتلعها من الأرض ، تمتلك رُمْحا قويًّا .

ابتسم (خالد) ابتسامة شاحبة ، وهو يعتدل فى مجلسه ، ويفرد أمامه ساقه المتورِّمة ، مغمغمًا :

ـــ يبدو أنك واسع الثقافة ياسيادة المقدّم .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، واتجه نحو أعواد الغاب ، قائلا :

ـــ إننى أعشق القراءة يا صديقى ، ومن الطبيعى أن

أحصل من خلالها على كم جيّد من الثقافة والمعلومات العامّة .

سأله (خالد) ، وهو يراقبه فى إعجاب :

ـ ومتى تجد الوقت الكافى للقراءة يا سيادة المقدّم ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو ينتزع أحد أعواد الغاب فى قوّة :

ـ كل وقت يصلح للقراءة يا (خالد) .

وراح ينظف جذر العود فى سرعة ، وهو يستطرد :

ـ فى أثناء السفر فى الطائرات ، أو قبل النوم ، أو فى الإجازات .

ضحك (خالد) ، وهو يقول :

ـ الإجازات ؟. هل تحصل على إجازات يا سيادة القدّم ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، ولكن من العجيب أن إجازاتى كلها تتحوّل إلى حومات قتال ، و .....

بتر عبارته فجأة ، عندما استدار نحو (خالد) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو ارتجفت له كل عضلات (خالد) ، وهو يهتف فى توتّر بالغ :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ اصمت يا (خالد) .. اصمت ولا تنطق بحرف واحد .

تمتم (خالد) فى توتّر :

ـ هل يتبعنا هؤلاء الأوغاد ؟

هتف به (أدهم) فى صرامة :

ـ قُلت لك اصمت .

ثم ألقى العُود نحوه ..

ورأى (خالد) تلك الحربة البدائية تتجه إليه .. إلى رأسه مباشرةً ..

* * *





ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يفتح (خالد) عينيه فى ذهول ، ويتطلع إلى (أدهم) فى حيرة ، ثم يدير عينيه ورأسه إلى الخلف ..

٩ ـ الحصار ..

كان للعود صرير مخيف ، وهو يشق الهواء نحو رأس (خالد) ، الذى تجمد فى مكانه من فرط الذهول ، وأغلق عينيه فى قوة ، حينما ارتطم العود بجذع الشجرة التى يستند إليها ، على قيد سنتيمترات قليلة من قمة رأسه ..

ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يفتح (خالد) عينيه فى ذهول ، ويتطلع إلى (أدهم) فى حيرة ، ثم يدير عينيه ورأسه إلى الخلف ..

إلى حيث انغرس الرمح ..

وتراجع (خالد) فى ذعر وذهول ...

تراجع حينما رأى ما أصابه الرمح ...

لقد رأى الرمح البدائى منغرسًا فى رأس ثعبان ضخم ، كان ينحدر على جذع الشجرة فى بطء متجهًا إلى رأسه ..

ومرة أخرى أعاد (خالد) عينيه إلى (أدهم) فى ذهول ، وغمغم :

ـ يا إلهى !!.. كيف نجحت فى إصابته بهذه الدقة من موضعك ؟

اقترب منه (أدهم) ، وانتزع الرُّمح من رأس الثعبان ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لقد كنت أمارس لُعبة رمى الرُّمح منذ حداثتى .

هتف (خالد) :

ــ هكذا .. بكل بساطة .. هل .....؟

قاطعه (أدهم) فجأة بإشارة حاسمة ، وهو يرهف سمعه ، ويعقد حاجبيه فى توتُّر ، فهمس (خالد) فى انفعال :

ــ ماذا هناك هذه المرَّة ؟

أجابه (أدهم) فى همس :

ــ إنهم يتبعوننا .

ثم عاونه على النهوض فى سرعة ، وهو يستطرد فى حزم :

ــ هيَّا بنا .. لا بُدَّ أن نبتعد بأقصى سرعة ، فهم يربُون على العشرة رجال ، ولست أشك فى أنهم مسلَّحون .

غمغم (خالد) :

ــ يا إلهى !!

وراح يبذل أقصى جهده ، للتغلُّب على آلام كاحله ، والإسراع للابتعاد مع (أدهم) ، إلَّا أن آلامه كانت شديدة للغاية ، حتى أنه هتف فى يأس :

ــ كلَّا .. لن يمكننى الاستمرار .

صاح به (أدهم) :

ــ حاول يا (خالد) .. سنخسر كل شىء ، لو أننا وقعنا فى أيديهم .

هتف به (خالد) :

ــ اتركنى إذن يا سيادة المقدَّم .. فرصتك الوحيدة فى النجاة تتوقَّف على التخلِّى عنِّى .

قال (أدهم) فى حزم :

ــ مستحيل !

صاح (خالد) فى حَنَق :

ــ لماذا ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ــ لأننى وعدت والدك أن أعود بك .

أمسك (خالد) ذراعه فى قوَّة ، وهو يهتف فى استنكار :

ــ والدى ؟!

ثم اندفع يستطرد فى انفعال :

ــ إننى أرفض أن تضحِّى بنفسك من أجلى ، لمجرَّد أننى ابن مدير المخابرات يا سيادة المقدَّم .. إننى رجل مخابرات ، وينبغى أن تتعامل معى بهذا الاعتبار وحده .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وعاد يحثه على مواصلة السَّير ، وهو يقول فى حزم :
ــ هذا ما أفعله بالفعل .
ولكن (خالد) توقَّف فى صلابة ، وهو يقول فى حزم مماثل :
ــ اتركنى إذن .
التفت إليه (أدهم) فى حِدَّة ، ولكن (خالد) استطرد فى عناد :
ــ اسمع يا سيادة المقدَّم .. المشكلة الآن ليس أنا ، أو نجاتى .. المشكلة ، هى اقتصاد (مصر) كله ، وهذا يستحقّ أن تضحِّى بى ، وبكل ما لَدَيْك ، لتربحه .. اتركنى يا سيادة المقدَّم .. اتركنى لينجو اقتصاد (مصر) كله .
صمت (أدهم) لحظة ، وهو يتطلَّع إلى عينى (خالد) ، ثم قال فى صرامة :
ــ كلَّا يا (خالد) .. هناك حلٌ ثالث .
غمغم (خالد) فى مزيج من الدَّهشة والاستنكار :
ــ حلٌ ثالث ؟!
ــ أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ــ نعم .. حلٌ ثالث .
سأله (خالد) فى توتُّر :
ــ أى حل هذا ؟
أجابه (أدهم) فى صرامة :
ــ أن نتصدَّى لهم .
حدَّق (خالد) فى وجهه بدهشة ، وهو يهتف :
ــ ماذا تقولُ ؟
ثم أمسك كتفى (أدهم) مستطردًا فى حِدَّة :
ــ أتفكِّر فى التصدِّى لأكثر من عشرة رجال ، وأنت لا تملك سوى مسدَّس ، يحوى ثلاث رصاصات ؟
ابتسم (أدهم) فى مرح ، وهو يرفع رُمحه البدائىَّ ، قائلًا :
ــ وماذا عن هذا ؟
هتف (خالد) فى حِدَّة :
ــ هذا ليس وقت المُزاح يا سيادة المقدَّم .
عادت ملامح (أدهم) إلى صرامتها ، وهو يقول :
ــ ومَنْ قال إننى أمزح ؟
ثم عاد يلوِّح بالرُّمح البدائىّ ، مستطردًا فى حزم :
ــ سيكون هذا سلاحنا الأساسىّ ..

وارتفع بصره ، وهو يُرْدِف فى صرامة :
ـ وسنحاصرهم .

* * *

انحنى (دى مال) يفحص أغصان الأشجار المهشّمة ، والأعشاب المكسورة ، ثم اعتدل قائلًا فى هدوء :
ـ يبدو أننا نقترب منهم كثيرًا ، فلم يمض على هذه الآثار سوى عشر دقائق فحسب .
أومأ (أندريه) برأسه متفهّمًا ، وقال فى حزم :
ـ حسنًا .. فَلْيُعِدَّ كل منكم سلاحه ، ولْيَسْتعِدّ للقِتال .
ابتسم (كال) ، وقال فى سخرية ، وهو ينفث دُخان سيجاره الفاخر :
ـ لن يكون قتالًا بالمعنى المعروف .
وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :
ـ بل مَذْبحة .
رمقه (أندريه) بنظرة ازدراء صارمة ، وهو يقول :
ـ لم يَحِن أوان الهَذر بعد يا (كال) .
ابتسم (كال) فى سخرية ، وهو يقول :
ـ حسنًا يا لَوْحَ الثلج .. أخبرنى حينما يحين أوانه .

ثم عاد يطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يستطرد :
ـ يا لَهَا من مفارقة !!
استدار إليه (أندريه) فى ضَجَر ، وهو يسأله :
ـ أيّة مفارقة ؟
ضحك (كال) ، وهو يقول :
ـ من المعروف عالميًا أن الإنجليز يمتازون بالبرود ، على حين يحوز الفرنسيون شهرة واسعة فى عالَم المَرَح ، وعلى الرغم من ذلك تجد وضعينا معكوسين ، فأنت بارد كلَوْح الثلج ، وأنا أميل إلى المَرَح .
مطّ (أندريه) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول فى ضَجَر :
ـ يا لَهَا من مُفارقة !!
عقد (كال) حاجبيه فى حَنَق ، وهو يقول :
ـ ألا يرُوق لك شىء مما أقول أبدًا يا جنرال ؟.. اعلم إذن أنه لولاى ما كان من الممكن أن ......
قاطعه (دى مال) ، وهو يقول فى هدوء :
ـ هناك أمر مثير للرِّيبة يا جنرال .
التفت إليه (أندريه) ، يسأله فى اهتمام :
ـ أىّ أمر هذا ؟

قاده (دى مال) إلى بقعة عُشبيّة ، على مقربة من حقل أعواد الغاب ، وأشار إلى بقعة مُوحلة ، وقال :

— لقد وصل الاثنان إلى هنا ، وجلس أحدهما مستندًا إلى جذع هذه الشجرة ، على حين اتجه الآخر نحو حقل الغاب ، وقتل أحدهما ذلك الثعبان بضربة واحدة ، من أحد أعواد الغاب ، بعد أن استخدمه كرُمح قاتل .

سأله (أندريه) فى اهتمام :

— ما المثير للرِّيبة فى كل هذا ؟

أشار (دى مال) إلى حبل يتدلّى إلى جوار جذع الشجرة ، وغمغم :

— هذا .

عقد (أندريه) حاجبيه الكثّين ، وهو يحدّق فى الحبل ، ثم برقت عيناه ببريق وحشىّ غريب ، ورفع عينيه بغتة إلى أعلى الشجرة ، حيث الأغصان الكثيفة المتشابكة ، وازداد تألّق عينيه ، حينما لمح ذلك الظل المختبئ بينها ، فخفض عينيه ، وابتسم فى دهاء ، وهو يقول فى صوت مرتفع .

— إنه أمر طبيعى يا (دى مال) ، طبيعىّ تمامًا .

وقاده بعيدًا ، قبل أن يهمس له فى خُبْث :

— طبيعى فى حروب الأحراش .

ثم أشار إلى خمسة من رجاله ، وانتحى بهم ركنًا جانبيًا ، فلحق بهم (كال) ، وسأله فى توتُّر :

— ماذا هناك ؟

أشار (أندريه) بطَرْف خفِىّ إلى الشجرة ، وابتسم فى دهاء ، وهو يقول فى شراسة :

— إنهما يختبئان هناك ، أعلى تلك الشجرة .

سأله (كال) فى انفعال ، وهو يختلس النظر إلى الشجرة بدوْره :

— كيف عرفت ؟

اتسعت ابتسامة (أندريه) ، وهو يقول فى خُبث :

— لقد تسلّقاها بواسطة حبل من الألياف ، ولكنهما نسيا أن يرفعا الحبل بعد صعودهما .

هتف (كال) فى انفعال :

— مُرْ رجالك بإمطارهما بالرصاص إذن .

تطلّع إليه (أندريه) فى إشفاق ، وقال فى ازدراء :

— ليس هكذا تدار الحروب يا رجل .. لابُدّ من انتزاع الحبل أوّلًا ، حتى نقطع عليهما خطّ الرَّجعة تمامًا .

ثم أشار إلى رجاله الخمسة ، مستطردًا فى حزم :

ـ نفّذوا .

شهر الرجال الخمسة مدافعهم الآلية ، واتجهوا فى حزم نحو الشجرة ، على حين صوَّب الآخرون مدافعهم إلى أعلاها ..

ثم جذب أحد الرجال الخمسة الحبل ..

شعر ببعض المقاومة فى البداية ، ثم سقط جسم من أعلى الشجرة ..

وبعد فوات الأوان ، أدرك الرجال الخمسة طبيعة ذلك الجسم ، فتراجعوا فى ذُعر ، ولكن ..

قلنا بعد فوات الأوان .. للأسف ..

لقد كان ذلك الجسم عبارة عن عشرة رماح بدائية ، من أعواد الغاب ، يربط مؤخراتها عُود واحد ، على هيئة مُشط ..

مُشط قاتل هوَى على أجساد الرجال الخمسة ، واخترقها بلا رحمة ..

وفجأة ، انطلقت ثلاث رصاصات ، من منطقة مجاورة ، أصابت إحداها أحد رجال (أندريه) الذى صرخ فى غضب وصرامة :

ـ اقتلوهما .. أطلقوا النار ..

ولمّا كان رجال (أندريه) يجهلون موضع هدفهم بالتحديد ، فقد راحوا يطلقون النار فى كل الاتجاهات ، وصنعوا بِدوْرِهم دائرة جهنمية أخرى ..

دائرة النيران ..

* * *



١٠ ــ رِمال المَوْت ..

ارتجف جسد (خالد) فى توتُّر ، حينما بلغ صوت طلقات النيران الغزيرة مسامعه ، وغمغم فى انفعال :

ــ يبدو أنّ خُطَّتك قد نجحت يا سيادة المقدّم .. لقد جذبوا الحبل ، فسقط عليهم مُشط الرِّماح ، وانجذب زناد المسدَّس ، فأطلق رصاصاته الثلاث نحوهم .

تمتم (أدهم) ، وهو يشُقّ طريقه وسط الأحراش فى صعوبة :

ــ أتعشَّم أن يعطلهم ذلك بعض الوقت .

غمغم (خالد) :

ــ ينبغى أن يحدث ذلك ، فقد ضحَّينا بالمسدَّس ، وبكل ما حصلنا عليه من رماح ، ولم نعُد نملك سلاحًا واحدًا .

ثم استطرد فى توتُّر وعصبيَّة :

ــ هلّا أنزلتنى يا سيادة المقدّم ؟.. إنك تحملنى كالطفل ، منذ غادرنا حقل الغاب ، وهذا يُورِثنى مزيدًا من الشعور بالعجز ، وبأننى أُعيق تقدُّمك .

توقَّف (أدهم) على الفور ، وسأله فى تعاطف :

ــ أيمكنك السَّير ؟

أجابه (خالد) فى حزم :

ــ يمكننى أن أحاول .. وأن أحتمل .

أنزله (أدهم) فى هدوء ، وانتظر حتى أمكنه الوقوف فى ثبات ، ثم قال :

ــ علينا الآن أن نبتعد بأقصى قدر ممكن ، فخدعتنا ستؤخِّرهم قليلًا ، ولكنهم سيعاودون مطاردتنا بمزيد من الشراسة والإصرار .

غمغم (خالد) :

ــ حسنًا .. هيًّا بنا .

سارا جنبًا إلى جنب .. يشقَّان طريقهما وسط الأحراش فى صعوبة ، حتى وصلا إلى منطقة واسعة ، يغطِّيها العُشب ، فابتسم (خالد) ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. سنرتاح من إبعاد الأغصان ، وتحمُّل أشواكها لبعض الوقت على الأقل .

قال (أدهم) فى هدوء :

ــ لكل عملة وجهان يا (خالد) .. فهذا سيجعلنا صيدًا سهلًا أيضًا .

هزَّ (خالد) كتفيه ، وابتسم فى شُحُوب ، وهو يقول :
ـ لكل شىء مساوئه .
ابتسم (أدهم) بدوْرِه ، وانطلقا يشقَّان طريقهما ، بأقصى سرعة يسمح بها كاحل (خالد) المتورِّم ، حتى غمغم هذا الأخير فى ألم :
ـ أظن أننى لن أتخلَّى عن كَوْنى عائقًا أبدًا .
توقَّف (أدهم) ، ليسأله فى إشفاق :
ـ أتحتاج إلى التوقُّف بعض الوقت ؟
خفض (خالد) وجهه أرضًا ، وهو يقول فى مرارة :
ـ أظن ذلك ، فآلام كاحلى لم تَعُد تُحتمل .
ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
ـ لا عليك يا صديقى .. القافلة تسير بقدر احتمال أضعفها .
وعاونه على الجلوس ، وهو يستطرد فى مرح :
ـ لقد كنت أحتاج أنا أيضًا إلى بعض الرَّاحة فى الواقع .
رمقه (خالد) بنظرة امتنان ، وقال :
ـ شكرًا لك يا سيادة المقدَّم .
ران عليهما الصمت لحظة ، ثم استطرد (خالد) :

ـ أمَا من وسيلة للحصول على أسلحة بدائية أخرى ؟
تلفَّت (أدهم) حوله ، ثم أشار إلى جذع شجرة قديمة ، ملقى وسط الرمال ، وقال :
ـ أظن بعض أغصان ذلك الجذع القديم ستفِى بالغرض .
ونهض فى هدوء ، واتجه فى خطوات سريعة نحو الجذع ، فابتسم (خالد) فى شُحُوب ، وهو يغمغم :
ـ يا لك من رجل !.. إنك تستحق حقًّا لقب (رجل المستحيل) ..
وفجأة ، رأى (أدهم) يتسمَّر مكانه ، فاعتدل فى جِدَّة ، وهتف :
ـ ماذا هناك ؟
أجابه (أدهم) فى توتُّر :
ـ اللَّعنة !!.. إنها بعض الرِّمال المتحرِّكة .
هَبَّ (خالد) واقفًا ، وهو يهتف :
ـ ماذا ؟
ثم اندفع نحو (أدهم) ، مستطردًا فى جزع :
ـ لا تتحرَّك إذن ، فكل حركة منك ستزيد غَوْصك داخلها .. سأحاول أنا أن .....

تعثّر فجأة ، بسبب كاحله الملتوى المتورّم ، وحماسه الشديد ، فسقط أرضًا ، وارتطمت رأسه بحجر ، فتأوّه فى قوّة ، ثم سقط فاقد الوعى ، تاركًا (أدهم) وحيدًا ، وسط بركة من رمال الموت المتحرّكة ..

ووجد (أدهم) نفسه ، وقد فقد أمله الوحيد فى النجاة من تلك الرمال المتحرّكة القاتلة ..

ووجد جسده يغُوص فيها ..

ويغُوص ..

ويغُوص ..

* * *

(انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث)

[أسـوار الجحيم]

الدائرة الجهنمية

- تُرى ما مصير (أدهم صبرى) فى معتقلة الرهيب ؟
- ما سر تلك الدائرة الجُهنّمية ، التى تُحاك للاقتصاد المصرىّ فى (تايوان) ؟
- أينجح (أدهم) و(منى) فى تحطيم تلك المؤامرة ، أم تهزمهما تلك (الدائرة الجهنمية) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : أسوار الجحيم



المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم